سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر ٤

الإمام الحسن (عليه السلام) في الدراسات الاستشراقية

الشيخ د. ليث عبد الحسين العتابي

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

الإمام الحسن عليه السلام في الدراسات الاستشراقيّة

الشّيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٥ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر

٤

الإمام الحسن (عليه السلام) في الدراسات الاستشراقية

الشيخ د. ليث عبد الحسين العتابي

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر

طالما كان الاستشراق قرين الاحتلال، فالعلم العاري من الضوابط الأخلاقية والإيمانية وحده القادر على تشخيص مواطن الضعف في الأمم المستهدفة، وتحليل أفكارها ورصد ظواهرها الاجتماعية، واليوم تقوم بنفس الدور مراكز التفكُّر والدراسات، فقد أصبحت مراكز الدراسات والجامعات والكراسي الأكاديمية أداة فعّالة فيما يسمى بـ«الاستشراق المعاصر»، وكما كانت دائمًا، أداة فعّالة في الاحتلال الفكري والإرهاب النفسي. لذلك، وفي سياق المواجهة في الحرب الثقافية، قررنا في «مركز براثا للدراسات والبحوث» ومن خلال (سلسلة نقد الاستشراق المعاصر) أن نسلّط الضوءَ على المنظومة الجديدة للاستشراق، والتي تطرح نفسها من خلال منهجياتٍ ومقارباتٍ ومصطلحاتٍ جديدة، لكنها تخدم نفس الأهداف القديمة، وهو استهدافُ الحضارة الإسلامية في عمودها الفقري، وهو منظومتها القيمية والمعرفية.

وبالرغم من زعم كثيرٍ من الباحثين العرب والمسلمين والغربيين أن الاستشراق قد مات، إلا أن من يدخلُ في أعماق ما يدور في العصر الحاضر في أوساط أقسام (دراسات الشرق الأوسط) في الجامعات الغربية، والمؤتمرات حول (قضايا العالم الإسلامي)، وورش العمل، وما يُعقد من ندوات ومؤتمرات وما يتم من برامج وتخطيط. يدرك أن ما يدور في العالم الغربي من اهتمامٍ بالإسلام إنما هو استمرار لبعض أهداف الاستشراق القديمة مع اختلاف في الوسائل والمناهج، فعسى أن تكون هذه السلسلة مشجعةً لنا في العالم الإسلامي أن نعطي البحث العلمي بعض الأهمية، فليس التقدم مرتبطًا فقط بالطب والهندسة والتقنية، ولكن العلوم الاجتماعية أيضًا تستحق أن ينفق عليها كما ينفق في المجالات الأخرى.

المقدمة

إن الكتابة عن التّاريخ الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، وعن التّاريخ الشّيعيّ الإماميّ بشكلٍ خاص؛ يُعدّ من أعقد الأمور في الكتابة التّاريخيّة، وبالخصوص إذا كانت تتناول أمورًا تحتاج إلى أن يتحقّق بها الفهم الصّحيح للتاريخ، وتتحقّق من خلالها أُسس الشّبهات ودفعها، وردّ الشّائعات، وإزاحة اللّبس في بعض الموضوعات.

إنّ مقولة: التّاريخ يكتبه المنتصر؛ مقولة حقيقيّة بكلّ مدلولاتها، فالمنتصر (الغالب)؛ هو من يستطيع أن يكتب التّاريخ، وإنْ تفلّتت مرويّات من هنا وهناك، فإنّ الغالب على المدوّنة التّاريخيّة هو اصطباغها بصبغة السّلطة الحاكمة.

إنّ ما تقدم من كلامٍ موجزٍ يقودنا إلى ما لاقاه المُصلحين من معاناة، وظلم، وتنكيل، وتشريد، وقتل، وتشويه.

لقد كانت شخصيات الأنبياء عليهم السلام على قِمّة الشّخصيّات الإصلاحيّة من جانب، وعلى قِمّة من لاقى الأهوال، والظلم من جانب آخر، فكان

القتل مصير كثير منهم على أيدي السّلطات الحاكمة، أو على أيدي أعدائهم، وقد كان قتلهم يجري تحت مسوّغات كثيرة، وبقرارات تصدر من أجهزة السّلاطين القمعيّة، وينفّذها جلاوزة الحُكّام.

ولو مررنا على تاريخ الإمام (الحسن المجتبى) عليه السلام، فإنّنا لن نجده قد غادر مصير المصلحين أو خالفه؛ بما لاقاه من أهوال وظُلامات، حتّى انتهى الأمر بشهادته مسمومًا عليه السلام.

لقد رسمت السّلطة الحاكمة آنذاك، وما تلاها من حكومات صورة مشوّهة عن الإمام (الحسن) عليه السلام، فانطلقت الرّوايات المكذوبة في حقّه في زمن (معاوية بن أبي سفيان) الأمويّ، ثمّ على يدي بني العبّاس وبالخصوص (أبي جعفر الدوانيقيّ)، ولقد عجّت كتب وعّاظ السّلاطين -التي كانت تؤلّف بأمر السّلطات الحاكمة وتكتب وفق أهوائهم- بالرّوايات المكذوبة والملفّقة والموضوعة لتكون تراثًا حديثيًّا وتاريخيًّا حافلاً بالمتناقضات، والأساطير، والأكاذيب التي ما أنزل اللّه بها من سلطان، ولقد تلقّف هذا التّراث أعداء الإسلام من أصحاب الأديان الأخرى ليكون حجّة لهم للطعن في الدين الإسلاميّ بكامل منظومته.

مع مجيء الاستشراق أو ما يُسمّى ب- «علم الاستشراق»، تلقّف المُستشرِقون روايات التّراث الحديثيّ والتّاريخيّ المزوّر بفرحٍ ونهمٍ؛ إذ قد وجدوا فيه غايتهم، لكي يطعنوا في الدين الإسلاميّ؛ إذ إنّهم

مُنقسِمون تحت عنوان الاستشراق إلى مُبشّرين، أو طلائع استعمار.

ولقد كان نصيب الإمام (الحسن المجتبى) عليه السلام كبيراً من قبل المُستشرقين الذين تلقّفوا الرّوايات المكذوبة قي حقّه ليجعلوا منها مطيّة لهم في نقدهم له، وليصنعوا منها وصفًا مخيفًا عن طبيعة ذلك الشّخص؛ إذ قد وُصِف بأنّه زير نساء، وطمّاع، ونهم -والعياذ باللّه - وغير ذلك من التّهم الكاذبة في حقّه عليه السلام.

إنّ الطّبيعة التّحليليّة لهؤلاء المُستشرقين غير مقبولة علميًّا، وغير مستساغة إسلاميًّا وشيعيًّا؛ وذلك لأنّهم لا يحملون للإسلام ذلك التّقديس والاحترام اللّذين يحملهما الإنسان المسلم.

لقد لاقى الإمام (الحسن) عليه السلام ظُلامات كثيرة؛ منها الظُّلامات التي كانت من أعدائه، ومنها التي لاقاها من الجَهَلة الذين ينعقون مع كل ناعق، ومنها التي لاقاها من المحسوبين على الشّيعة، ومنها التي لاقاها من المُستشرقين ومن تابعهم من دعاة العَلمَانيّة والحداثة.

إنّ الواجب علينا -هنا- توضيح تلك الظُّلامات، وبيان أسسها، والرّدّ عليها وتفنيدها، فذلك أولى من البحث عن حياة الإمام (الحسن) عليه السلام، وفق منهج السّرد التّاريخيّ البحت، أو وفق طرح اعتياديّ يخلو من الإشارات المُهمّة والتّحقيقات الدقيقة.

في هذه الدراسة الموسومة ب- «الإمام الحسن عليه السلام في الدراسات الاستشراقيّة» نودّ تسليط الضّوء على دراسات المُستشرِقين النّاقدة

للإمام الحسن عليه السلام بغير وجه حق، والتي اعتمدت على روايات موضوعة، دفعهم إلى ذلك حقدهم، ودوافعهم الإيديولوجيّة تجاه الدين الإسلاميّ.

سنحاول في هذه الدراسة رد شبهات المُستشرِقين حول الإمام (الحسن) عليه السلام، مع توضيح لنشأة تلك الشّبهات، وتحلِيل ما يحتاج إلى ذلك، مع بيان مكانته عليه السلام وفق أسلوب موضوعيّ، سائلين اللّه -سبحانه وتعالى- التّوفيق في ذلك، إنّه سميع الدعاء.

الفصل الأول:
وقفة تاريخيّة على نشأة الاستشراق

● المبحث الأول: في معنى الاستشراق والمُراد به:

أوّلًا: في بيان الجذر اللّغويّ والمراد الاصطلاحيّ للاستشراق:

إنّ الجذر اللّغويّ العربيّ الذي اشتُقّت منه كلمة (استشراق) و(مُستشرِق) يحيل إلى الشّرق؛ باعتباره جهةً، ومن هذا قول صاحب لسان العرَب: (الشّرق: هو الجهة التي تشرق منها الشّمس)[١].

لقد اختلف الباحثون والكُتّاب في تحديد البدايات الأولى لحركة (الاستشراق)، ويمُكن إجمال بعض الأقوال في هذا الشّأن، وهي:

يذهب كلٌّ من (بطرس البستانيّ)[٢] و(نجيب العقيقيّ)[٣] إلى أنّه نشأ في القرن العاشر الميلاديّ.

---

١ - محمد بن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٧٣.

٢ - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ص٣٤٠.

٣ - نجيب العقيقي: المُستشرِقون، ج١، ص١١٠.

ويذهب (رودي بارت-Rudi Part)[١] إلى أنّه نشأ في القرن الثّاني عشر.

وهناك رأي يقول: إنّ بدايات الاستشراق كانت في أيّام الدولة الأمويّة في القرن الثّاني الهجريّ، وإنّ الاستشراق قد نشط في الشّام بواسطة الرّاهب (يوحنا الدمشقيّ) في كتابين له هما (حياة محمد) و(حوار بين مسيحيّ ومُسلم).

ومنهم من يرى أنّه بدأ سنة ١٢٥٠م، بعد أنْ غادر (لويس التّاسع-Louis IX) مدينة دِمْياط إلى عكّا، وكانت صيحته بعد هزيمته: (لنبدأ حرب الكلمة، فهي وحدها القادرة على تمكيننا من هزيمة المسلمين)[٢].

لكن يمكن تحديد البداية - الرّسميّة - للاستشراق بصدور قرار مَجْمَع فيينّا الكنسيّ عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذيّة في اللّغات العربيّة، واليونانيّة، والعبريّة، والسّريانيّة في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا. وهذا الرّأي هو الأرجح علميًّا.

إن مصطلح "مُستشرِق" ظهر لأوّل مرّة في إنكلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م، وأُدرج مصطلح الاستشراق في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة عام ١٨٣٨م [٣].

---

١ - رودي بارت: الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة، ص٩.
٢ - راجع: فؤاد كاظم المقدادي: الإسلام وشبهات المُستشرِقين، ص٣٨.
٣ - راجع: المُستشرِقون: نجيب العقيقي، ج١، ص١٣٨.

وبالرّغم من وجود الاختلاف في تحديد البدايات الفعليّة لحركة الاستشراق يُجمع معظم الباحثين على أنّ نشأته كانت تبشيريّة بحتة بكل وسائلها وأهدافها، تبعتها حركة استعماريّة محمومة.

وعن التّعريف بالمُستشرِقين يقول (مالك بن نبيّ): "هم الكُتّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلاميّ وحضارته"[1].

ولقد تناول المُستشرِقون الفتح الإسلاميّ، ودرسوا الشّعوب والبلدان التي طالتها الفتوحات الإسلاميّة، وتحدّثوا عن أحوالها قبل الفتح وبعده، ودرسوا السّلالات التي حكمت مختلف أقطار العالم الإسلاميّ، من العباسيّين والأمويّين والعثمانيّين والحمدانيّين والفاطميّين. كما درسوا الفِرَق الإسلاميّة وتطوّرها وعلاقاتها، لا سيّما المُعتزِلة والإسماعيليّة والزّيديّة والقرامطة، ودرسوا الفقه الإسلاميّ وتطوّره وعلم الكلام، ورصدوا علاقات المسلمين بالحضارات الأخرى وغير ذلك، حتّى وصل بهم الحال إلى دراسة الفنّ المعماريّ الإسلاميّ.

ثانيًا: تقسيم مدارس الاستشراق:

أمّا عن تقسيم مدارس الاستشراق فلقد استخدم عدد من باحثي الاستشراق تقسيمات متعدّدة لمدارسه، ومن باب المثال نذكر بعض

---

١ - لخضر شايب: نبوّة محمد في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، ص٢٧.

التّقسيمات التي طُرحت وفقًا لهذا، والتي منها:

١. **تقسيم الدكتور (نجيب العقيقيّ):** وهو باحث متخصّص في الاستشراق وشخصيّاته؛ حيث قسّم الاستشراق إلى مدرستين كبيرتين هما:

أ. **المدرسة السّياسيّة:** وهي المدرسة التي ركّزت جهودها على الأدب بشكل عامّ، بما للأدب من مفهوم واسع يطاول الفكر الإنسانيّ والإنسانيّات، وفي هذه المدرسة تندرج دراسات المُستشرِقين عن الدين والتّاريخ واللّغة والأعراف.. إلخ.

ب. **المدرسة الأثريّة:** وهي المدرسة التي عنت بالآثار.

٢. تقسيم الدكتور (حسين الهراويّ): والذي قسّم الاستشراق إلى مدارس ثلاث هي:

أ. **مدرسة القرآن الكريم:** وهي المدرسة المختصّة بدراسة القرآن الكريم وتاريخه وجمعه، وما يتّصل بقضايا الوحي ونحو ذلك.

ب. **مدرسة التّاريخ النّبويّ:** وهي المدرسة المختصّة بحياة النّبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى معه في سيرته، وأعماله، وحروبه وسياسته.. إلخ.

ج. **مدرسة التّاريخ العربيّ:** وهي المدرسة التي تعنى بتاريخ

العرب قبل الإسلام وبعده، واللّغة العربيّة، وتاريخ الإسلام في عصر الصّحابة، والعصرين الأمويّ والعباسيّ.

لقد أوضحت الكتب المختصّة كلّ ما يتعلّق بالاستشراق من حيث الاتجاهات، والمناهج، والدوافع، والمرجعيّات، والتّوجّهات، واللّغات، والبلدان؛ إذ يُعدّ كتاب «المُستشرِقون» لـ (نجيب العقيقيّ)، و«موسوعة المُستشرِقين» لـ (عبد الرّحمن بدويّ) من أفضل الكتب المرجعيّة في هذا المجال، يُضاف لهما كتب أخرى تليهما من حيث الأهميّة والجدة.

● المبحث الثّاني: المُستشرِقون ودراسة التّراث الإسلاميّ:

أولًا: دراسة المُستشرقين للشرق والإسلام:

لقد اهتمّ المُستشرِقون بكلّ ما يتّصل بالشّرق، فكانت عنايتهم بدراسة تراث الهند والصّين وبابل وآشور ومصر وبلاد فارس، لكنّ اهتمامهم بالتّراث العربيّ الإسلاميّ قد فاق كلّ الاهتمامات الأخرى، في محاولة دؤوبة منهم لاختراق أفق الشّرق الفكريّ.

إنّ «الحضارة الإسلاميّة وليدة البعثة النّبويّة، وتلك الحضارة مثّلت حضارات اليونان والرّوم والفرس، وشملت أُممًا مختلفة الأمزجة والطّبائع، فلم تكن حضارة العرب فحسب، وإنّما كانت حضارة الأمم

الإسلاميّة كلّها أو قل هي حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث، ولقد اهتمّ العالم الحديث اهتمامًا خاصًّا بالدور الذي لعبته تلك الحضارة؛ حيث انكبّ فريق كبير من علماء الغرب على دراسة تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دين سمح كريم، ومن لغة غنيّة بمفرداتها المرنة باشتقاقاتها، والجميلة برسم حروفها، وأدب يصوّر نبضات القلوب وخلجات النّفوس، ونجوى الضّمائر، ومن تصوّف وفناء في التّأمّل، ومن فلسفة قد بلغت الغاية في عمقها وشمولها، ومن حكم وتشريع لم تصل الإنسانيّة بعد إلى أفضل منهما، وقد أذاعوا كثيرًا من دراساتهم في كتب عدّة ومجلّات خاصّة، ثمّ رأوا منذ بداية هذا القرن أن يجمعوا خلاصة بحوثهم في كتاب جامع يتّبعون فيه منهج القواميس والمعاجم، فكتبوا دائرة المعارف الإسلاميّة باللّغات الأوروبيّة الكبرى؛ حيث أكّدوا ذلك الاهتمام البالغ بالتّراث العربيّ الإسلاميّ الخالد، ودوره البنّاء في تربية الإنسان المسلم والقضاء على النّظام الفكريّ العبوديّ والإقطاعيّ وقفز الفكر الإنسانيّ قفزة محسوسة، نقلته من العبوديّة إلى الإنسانيّة، وأثّرت في الفكر الأوروبيّ بأسره في شتّى ميادين العلوم والآداب والفنون»[1].

إنّ من دلائل هذا الاهتمام -سلبًا أو إيجابًا- ظهرت أوّل مطبعة عربيّة

١- جان بول روا: الإسلام في الغرب، ص١٤٥. ١٥٢.

في مدينة (فانوا) بإيطاليا، والتي كانت بأمر من (البابا يوليوس الثّاني- Iulius II)، والتي افتتحها (ليون العاشر- Leo X) عام ١٥١٤م.

إنّ تحديد وقت بداية الطّباعة العربيّة في أوروبا هو في الوقت نفسه تحديد لبداية الطّباعة العربيّة؛ لأنّ الطّباعة بالحروف العربيّة للكتب العربيّة قد بدأ في أوربا قبل البلاد العربيّة والإسلاميّة بأكثر من قرن[١].

فإنّ أوّل مطبعة عربيّة في أوربا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال (فرديناندو دي مدتشي- Ferdinando de' Medici) كبير دوقات توسكانا، وكان يرأس هذه المطبعة ومقرّها في روما شاب إيطاليّ يُدعى (جيوفاني بتستا رايموندي- Giovanni Battista Ramusio) الذي أقام في المشرق فترة طويلة.

وابتداءً من السّادس من أيلول ١٥٨٦م اشتغلت المطبعة في جمع أوّل إنتاج لها وطبعه وهو كتاب «القانون» لـ (ابن سينا)، ومعه كتاب «النّجاة» الذي هو مختصر «الشّفاء»، وجرى إنجاز طبع «القانون» ومعه «النّجاة» في عام ١٥٩٣م. كما طُبع في عام ١٥٩٢م في هذه المطبعة كتاب «الكافية» لـ (ابن الحاجب)، وكتاب «الأجروميّة» لـ (ابن أجروم)، وكتاب «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان

١- راجع: عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرِقين: ص٥٥١. ٥٦٤؛ يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ص١٥ ـ ٣٣.

والجزر والمدائن والآفاق» لـ (الشّريف الإدريسيّ).

وفي عام ١٥٨٨م حصلت هذه المطبعة من السّلطان العثمانيّ (مراد الثّالث) على امتياز طبع كتاب «تحرير أصول إقليدس» ونشره، تأليف (الخواجة نصير الدين الطّوسيّ)، وقد طُبع هذا الكتاب في عام ١٥٩٤م.

توقّفت هذه المطبعة من عام ١٥٩٣م إلى عام ١٦١٠م، وأرْجَح ما قيل في تفسير هذا التّوقّف هو أنّ طبع هذه الكتب لم يحظ بالقبول لدى الشّرقيّين لرداءة الحروف وقبحها وما فيها من أغلاط[1].

ثانيًا: المُستشرقون ودراسة السّيرة:

إنّنا في تناولنا لموضوع المُستشرقين وكتاباتهم عن السّيرة لسنا بصدد أنْ نكتب عن جهود المُستشرِقين في السّيرة لنثبت بذلك ذكاءهم، أو عبقريّتهم -مثلاً- دون غيرهم، ولا لإثبات اتّصافهم بأجمعهم بالموضوعيّة، ولا لإثبات أحقّيّة قضيّة ما من خلالهم، ولكنّ المراد بذلك إظهار أنّ كثيراً من القضايا التّاريخيّة والتّراثيّة، والإنسانيّة غير خافية على الباحث، وإنّ كثيراً من القضايا واضحة وضوح الشّمس رغم إرادة بعضهم طمسها، وتشويهها، وتحريفها، ومن تلك السّيَر سيرة حياة الإمام (الحسن) عليه السلام.

---

١ - عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرِقين، ص٥٥٧.

إنّ أكثر المصادر التّاريخيّة قد اطّلع عليها كثر - شرقًا وغربًا - فهم قد قرؤوها وحقّقوها وترجموها، وطبعوها قبل أنْ تصل إليها حملات التّحريف والتّزوير، وبذلك قد أُفلتت من أيدي وُعّاظ السّلاطين وسطوتهم، فكانت وستبقى غصّة لا تبارحهم، وتنشب في أعناقهم كلّما أرادوا لها إخفاءً. لا بدّ أنْ نعلم، أنّ هناك كثيراً من كتابات المُستشرِقين التي اتّسمت بعدم الإنصاف، وبالخصوص في مجال السّيرة، فإنّ جملة من المُستشرِقين كانت كتاباتهم تتوخّى تشويه سيرة النّبيّ الأكرم ﷺ وسيرة أهل بيته عليهم السلام، وأجلى مثال لهؤلاء هو المُستشرِق (هنري لامنس- Henri Lammens) الذي يُعدّ من أكثر المُستشرِقين حقدًا، ودسًّا على الدين الإسلاميّ، وعلى النّبيّ وأهل بيته ﷺ.

إنّ أغلب المُستشرِقين قد هوّلوا، وكذّبوا، واخترعوا الأباطيل، لكنّهم في أكثر الأحيان، وعند مناقشتهم لقضيّة لا ينطلقون من فراغ محض، بل إنّهم اعتمدوا في ذلك على ما وجدوه في كتب التّراث التّاريخيّ والتّراث الحديثيّ وكُتب السّيرة، لما فيها من وضع، ودسّ، وتحريف، أعطت مسوّغًا لكلّ ذلك.

إنّنا إذا أردنا من الآخر أن يتّسم بالموضوعيّة التّامّة، والحياديّة المُطلقة عند قراءة التّراث بشكلٍ عام وتراثنا بشكلٍ خاص، فعلينا أول الأمر أن نخلص هذا التّراث من كل ما علق به من مدخولات، وموضوعات، وتحريفات، وتصريفات، ومن ثَمَّ نبحث عن المشتركات؛ حتى نكتب تحت عنوان واحد.

لقد "كان محور محاولات المُستشرِقين في تناول السّيرة النّبويّة هو إسقاط هذا الثّقل في واقع المسلمين مُنضمًّا إلى الثّقل الأول وهو القرآن الكريم، وبذلك ينهار البناء الإسلاميّ بكل أبعاده الفكريّة والسّياسيّة. ومن أجل ذلك راحوا يتتبّعون مفردات التّاريخ الإسلاميّ لاستقصاء موارد الشّذوذ ومواطن التّزوير في السّيرة النّبويّة التي أحدثها وُعّاظ السّلاطين ومُرتزقة الحُكّام المنحرفين، كخلفاء بني أميّة وخلفاء بني العبّاس، وتسليط الضّوء عليها وإظهارها على أنّها السّيرة الفعليّة للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ثُمَّ يبدأ استثمار ذلك عند تأسيس بحث نقديّ لشخصيّة الرّسول صلى الله عليه وآله لتحقيق هدفين: الأوّل: إبراز تهافت سيرته وتناقضها وصولاً لنفي نبوّته وعالميّته، وتقرير أنّه ليس إلا رجلاً إصلاحيًّا وقوميًّا استثمر النّصرانيّة واليهوديّة ومثيلاتهما، وأضاف إليها من عنده لتنسجم مع مجتمعه وظرفه الزّمانيّ والمكانيّ. والهدف الثّاني: وصم السّنّة النّبويّة بالاختلاق والوضع، ومن ثَمَّ الدَّعوة إلى عدم حجيَّتها باعتبارها مصدرًا رئيسًا من مصادر التّشريع في الإسلام، ولم تكن هذه المُعطيات جزافًا، بل هي إفراز طبيعيٌّ للصِّراع المُحتدِم بين الإسلام والصّليبيّة، وقد كان للنتائج التي تمخَّضت عنها الحروب الصّليبيّة طعم العلقم في حلوق الأوروبيين لا ينسونه أبدًا"[1].

١ - فؤاد كاظم المقدادي: الإسلام وشبهات المُستشرِقين، ص١٤٥ـ ١٤٦.

إنَّ مجمل الآراء غير الموضوعيّة التي تبنَّاها المُستشرقون كان أساسها -كما أسلفنا- إمَّا التّحريفات الموجودة في التّراث، وإمَّا مبتنيات تراث العصور الوسطى الصّليبيِّ، وإمَّا كتابات المُستشرقين الأوائل ذات الطّابع الأيديولوجيِّ، والتّبشيريِّ، والاستعماريِّ. مضافًا إليها غايات أخرى متعدَّدة بتعدد تلك الأهداف.

"إنّ بحث المُستشرقين - بصفة عامَّة - في السّيرة لا يحمل عناصر اكتماله من البداية، بل إنَّه يشبه الاستحالة الحسابيَّة المعروفة بجمع خمس برتقالات - مثلاً - مع ثلاثة أقلام؛ إذ لا يمكن أن يكون الحاصل ثمانية؛ إنَّ هناك خلافًا نوعيًّا لا يمكن للأرقام من أن تتجمع لكي تكوِّن مقدارًا موحَّدًا. إنَّ المُستشرقين - بعامَّة - يريدون أنْ يدرسوا سيرة رسول اللّه وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السّيرة ونتائجها وأهدافها التي تحرَّكت صوبها، والغاية الأساس التي تمحورت حولها، فالمُستشرق إمّا أنْ يكون عَلْمَانيًّا، وماديًّا، لا يؤمن بالغيب، وإمّا أنْ يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا، لا يؤمن بصدق الرّسالة التي أعقبت النّصرانيّة. وإذ كانت السّيرة، في تفاصيلها وجزئيّاتها، تنفيذًا تاريخيًّا لعقيدة الإسلام ذات المُرتكزات الغيبيّة، بل ذات التّداخل بين المُغيَّب والمنظور في السّدى واللّحمة، وإذ كانت بمنزلة دعوة سماويّة أخيرة، جاءت لكي تُوقف النّصرانيّة المُحرَّفة عن العمل، وتحلُّ محلَّها، بما تتضمّنه من عناصر الديمومة والحركيّة والاكتمال، فإنَّ ثَمَّة جدارًا

فاصلاً يقف بين المُستشرِق، وبين فهم السّيرة"[1].

لقد برزت في الوسط الاستشراقيّ بعض الأسماء التي تخصّصت بدراسة السّيرة النّبويّة والحديث الشّريف، وأهم هذه الشّخصيات:

١ - (إغناتس غولدتسيهر - Ignaz Goldziher) (١٨٥٠ - ١٩٢١م):

يعدّ المُستشرق المجريّ المعروف (إغناتس غولدتسيهر) من أشهر المُستشرِقين المُهتمّين بالسّيرة والحديث الشّريف، وُلد في مدينة أشتولفيسنبرغ (Ashtolfesenberg) في بلاد المجر من أسرة يهوديّة.

٢ - (جوزيف شاخت - Joseph Schacht) (١٩٠٢ - ١٩٦٩م):

وُلد المُستشرق الألمانيّ (جوزيف شاخت) في ١٩٠٢/٣/١٥م، في راتيبور في ألمانيا، ودرس هناك علوم اللاّهوت والفيلولوجيا الكلاسيكيّة، واللّغات الشّرقيّة، وذلك في جامعتي برسلاو (Breslau) وليبيتسك (Lipetsk)، وفي عام١٩٢٥ م عُيّن - بعد أن حصل على الدكتوراه في التّأهيل - للتدريس في جامعة فرايبورغ (Freiburg)، لينتقل عام ١٩٣٢ إلى جامعة كينغسبرغ (Kongsberg).

٣ - (ليوني كايتاني - Leone Caetani) (١٨٦٩ - ١٩٢٦م):

فهو واحد من أبرز المُستشرِقين الإيطاليّين، وُلد في روما في ١٨٦٩/٩/١٢ وعاش فيها، وتعلّم في جامعاتها، وكان أميراً من أسرة

---

١ - يحيى مراد: افتراءات المُستشرِقين على الإسلام والرّد عليها، ص٢٧٥ـ ٢٧٦.

(كيتاني)، وهي أسرة من كبار الأمراء في إيطاليا الحديثة. كان يُتقن لُغات عدّة بلغت السّبع، منها: العربيّة والفارسيّة، وقد عمل سفيراً لإيطاليا في الولايات المتحدة الأمريكيّة.

زار (كيتاني) بلدانًا شرقيّة كثيرة، مثل الهند ومصر وإيران ولبنان وسورية، وزار شبه جزيرة سينا، وكتب عنها كتابًا خاصًّا سمّاه «في صحراء سينا»، وذلك عام ١٨٨١م.

٤ - (جورجيو ليفي دلاّفيدا- G. Levi Della Vida ((١٨٨٦ - ١٩٦٧م):

مُستشرِق إيطاليّ وُلد في الثّاني والعشرين من شهر آب ١٨٨٦م، من أُسرة يهوديّة كانت تعيش في إيطاليا منذ زمن بعيد. وأكمل دراسته الثّانوية في جنوة (Genova)، ثم انتقل إلى روما للجامعة، وانتسب لكليّة الآداب، وحصل على ما يعادل اللّيسانس عام ١٩٠٩.

٥ - (جيمس روبسون- James Robson):

مُستشرِق إنكليزيّ تخصّص في مجال اللّغات الشّرقيّة وتخرج في جامعة غلاسغو (Glasgow)، وعُيّن أستاذًا مُساعدًا في اللّغة العربيّة فيها عام ١٩١٥ - ١٩١٦، وتنقّل بين العراق والهند في عام ١٩١٦ - ١٩١٨، واختير مُعيدًا للإنكليزيّة في لاهور عام ١٩١٨ - ١٩١٩، ثم سافر إلى عدن بين ١٩١٩ - ١٩٢٦، وعُيّن وزيرًا في شاندون (Shandon) (١٩٢٦ - ١٩٢٨)، وأستاذًا للغة العربيّة في جامعة

مانشستر (Manchester) عام ١٩٤٩.

٦ - (جوزيف هوروفتس- Josef Horovitz) (١٨٧٤ - ١٩٣١م):

مُستشرِق ألمانيّ يهوديّ، وُلِد في لاونبرغ (Lauenburg) عام ١٨٧٤م، وتعلّم في جامعة برلين؛ حيث حضر دروس (أدوارد سخاو- Karl Eduard Sachau)، وعُيِّن مُدرِّسًا في جامعة برلين ١٩٠٢. واشتغل في الهند من ١٩٠٧ إلى ١٩١٤؛ حيث كان يعمل مُدرِّسًا للّغة العربيّة في الكلّيّة الإسلاميّة. كما اشتغل أمينًا للنقوش الإسلاميّة في الحكومة الهنديّة البريطانيّة. وكان ثمرة هذا العمل أنَّه نشر مجموعة "النّقوش الهنديّة الإسلاميّة" في (١٩٠٩ - ١٩١٢).

٧- المُستشرق الفرنسيّ (إيميل درمنغم- Emile Dermenghem) (١٨٩٢- ١٩٧١م):

من آثاره ومؤلّفاته[١]: "حياة محمّد"، باريس، (١٩٢٩م)، و"محمّد والسّنَّة الإسلاميّة"، باريس، (١٩٥٥م).

٨- المُستشرق الأمريكيّ (صمويل زويمر- Samuel Marinus Zwemer) (١٨٦٧-١٩٢٥م):

من آثاره ومؤلفاته[٢]: "أُميّة النّبيّ"، (١٩٢١م)، و"إرث النّبيِّ"، (١٩٤٨م).

---

١ - يحيى مراد: افتراءات المُستشرقين على الإسلام والرّد عليها، ص٥٠٥.

٢ - راجع: يحيى مراد: افتراءات المُستشرِقين على الإسلام والرّد عليها، ص٦٥٦.

٩- المُستشرِق الألمانيّ (يوليوس فلهاوزن- Julius Wellhausen) (١٨٤٤-١٩١٨م):

من آثاره ومؤلّفاته[١]: "محمّد في المدينة"، برلين، (١٨٨٢م)، و"الخوارج والشّيعة".

١٠- المُستشرِق الفرنسيّ (لويس ماسينيون- Louis Massignon) (١٨٨٣-١٩٦٢م):

من آثاره ومؤلّفاته[٢]: "الأصول الشّيعيّة للأسرة المستوزرة بين الفرات" عام ١٩٣٥م، "بحوث عن الشّيعة المُتطرّفة في بغداد في أواخر القرن الثّالث للهجرة" عام ١٩٣٨م، و"فاطمة بنت الرّسول" عام ١٩٣٨م، و"تكريم الإسلام لفاطمة" عام ١٩٥٦م، و"فاطمة بنت الحسين وأصل الأُسرة الفاطميّة" عام ١٩٥٣م، و"أبحاث جديدة عن سلمان باك" عام ١٩٦٢م، و"أصل التّأمل الشّيعي في سلمان وفاطمة" عام ١٩٦٣م.

● المبحث الثّالث: اتّجاهات الكِتابة في السّيرة عند المُستشرِقين

لقد كان مَنهج الكتابة في السّيرة لدى المُستشرِقين يسير وفق اتجاهين لا ثالث لهما، أو يكاد يكون الثّالث نادرًا.

---

١ - يحيى مراد: افتراءات المُستشرِقين على الإسلام والرّد عليها، ص٧٩٧.

٢ - يحيى مراد: افتراءات المُستشرِقين على الإسلام والرّد عليها، ص١٠١٢.

وبشكلٍ عامّ، فقد تشابهت اتِّجاهات المُستشرِقين في دراسة السّيرة، وتشابهت نتاجاتهم، ولم يتحقَّق فيها شيء مُختلِف أو جديد، ولم يتحقَّق فيها نوع من الموضوعيّة، أو العلميّة الحقيقيّة، فما بين مناهج شكَّكت بالوحي ومناهج أخرى كان هدفها زرع الشّكّ في النّفوس، ومناهج كانت تهدف لإذكاء الحقد والكراهية في العالم ضدّ الإسلام وفق أُطر أسَّستها أساطير الحروب الصّليبيّة. هذا ما يمكن أن نجمله عن مناهج المُستشرِقين في كتابة السّيرة بشكل عامّ.

أوّلًا: الاتِّجاه غير المُنصف:

وهو الاتّجاه الحاقد وغير المُنصف وصاحب الأحكام المُسبقة، والذي يكتب لغاية مبيّتة، هدفها تهديم الإسلام، وإثارة الشّبهات والإشكاليّات عنه.

فقد قام المُستشرِقون - وبشكل عامّ - بتتبّع مفردات التّاريخ الإسلاميّ لاستقصاء موارد الوضع ومواطن التّزوير في السّيرة النّبويّة التي أحدثها المُنتصِر، والمُحرِّفون، فسلّطوا الأضواء عليها، وجعلوها السّيرة الفعليّة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، يستثمرون ذلك كلّه عندما يريدون تأسيس بحث نقديّ عن شخصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله أو أهل بيته عليهم السلام لإبراز تهافت مَرويّات السّيرة وجعل النّبيّ صلى الله عليه وآله رجلاً عاديًّا اقتبس دينه من اليهوديّة والنّصرانيّة وغيرهما، ليوصفوا السّنَّة النّبويّة بالتّهافت

والاختلاق، وبالتّالي عدم حجيَّتها.

يقول الأستاذ (جواد عليّ): «لقد أخذ المُستشرِقون بالخبر الضّعيف والموضوع في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشّاذّ والغريب، فقدَّموه على المعروف والمشهور»[1].

وذلك ضمن خطّة ممنهجة، ومعدّة مُسبقًا، لكون هذا الأسلوب يخدم مصالحهم وتوجهاتهم، في رفع شأنهم، والحطّ من شأن غيرهم.

إنّ الاستشراق ظاهرة من أهمّ الظواهر التي أشغلت بال كثيرين في الأوساط العلميّة، لا سيّما في القرنين الأخيرين. لم يأتِ الاهتمام بالاستشراق من فراغ؛ وذلك أنّ المُستشرِق قد تصوّر نفسه العالِم الأعلم بعلوم المسلمين، فوجب عليهم أنْ يأخذوا عنه الطّريقة الصّحيحة لتفسير كلام ربّهم، والفهم الصّائب لأحاديث نبيّهم، والمنهج القويم في استنباط أحكامهم، وتحليل ما جرى من وقائع وأحداث في عهود أسلافهم. وذلك كُلّه تحت ستار ما أسموه بالمنهج العلميّ لدراسة النّصوص الدينيّة، أو تحليل الوقائع التّاريخيّة.

فكان مما انتهى إليه سلوك هذا المنهج الغربيّ المُستحدَث: محاولة تقويض أُسس دين المسلمين، بالطّعن في كتابهم تارةً، والقدح في نبيّهم تارةً أخرى، والتّشكيك في كل ما هو مُنصف في حق الإسلام

---

١ - جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام، ج١، ص٨ ـ ١١.

وأتباعه تارةً ثالثّة.

حتّى قال (برنار لويس) وهو يأخذ على مُستشرِق آخر تطرُّفَه في هذا الاتجاه: "لقد استخدم (لامنس) معيارين: أيّ شيءٍ معاد للإسلام أو للنبي صلى الله عليه وآله يجب أنْ يكون صحيحًا، وأيّ شيء في صالحهما، يجب فحصه بنظرة دقيقة»[١].

ولنأخذ بعض الأمثلة برهانًا على أنّ موقف (لامنس) من الإسلام وكتابه ونبيّه صلى الله عليه وآله، لم يكن قطّ حالة شاذّة في القاموس الاستشراقيّ، بل قاعدة مطّردة في كل العصور والعهود.

وفي المقابل نجد عالِمًا غربيًا آخر يعدّ من أشهر المُستشرِقين الهولنديّين، بل في العالم قاطبةً. أعني بذلك: المُستشرق (فنسنك- Wensinck) الذي وضع مع آخرين المعجمَ المُفهرَس لألفاظ الحديث الشّريف، نجده يقدح في حديث صحيح، وهو حديث: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أنْ لا إله إلاّ اللّه وأنّ مُحمّدًا رسول اللّه، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان..."[٢].

ففي مُخيّلة (فنسنك)، يجب ألاَّ يصحّ حديث كهذا، لا لشيءٍ سوى

---

١ - مازن مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التّاريخ الإسلامي - دراسة تطبيقيّة على كتابات برنارد لويس، ص٥٩٩.

٢ - الشّيخ المفيد: أمالي، ص٣٥٣؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج١، ص١٢؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج١، ص٤٥.

أنّه قد اشتمل على لفظ الشّهادتين، وهما في تصورّه لم تُوجدا إلاّ بعد وفاة النّبيّ ﷺ بقرون عدّة، حين شعر المسلمون بالحاجة إلى إيجاد صيغة ما لعقيدتهم.

ومن أمثلة مخالفة المُستشرِقين لأبسط أُسس البحث العلميّ، حين يتعلّق الأمر بالإسلام والمسلمين على وجهٍ عامٍّ، وبالقرآن الكريم على وجهٍ خاصّ، ما صنعه مُستشرق آخر في دراسة له عن القرآن الكريم. فقد عمد المُستشرِق (ج. أ. بيلاّمي) إلى الطّعن في عدد من الكلمات القرآنيّة، والتّشكيك في أصالتها وصحّتها، بل اقتراح تعديلها وتبديلها، واضعًا في سبيل ذلك قواعد غريبة، أفضت إلى نتائج مُبكية مُضحكة في آن واحدٍ؛ إذ لم يفلح في الإتيان بأيّ مبرّر علميّ مُقنِع سوى ما جمعه من أوهام وتخمينات، ونشرها في أعداد مختلفة من مجلة الجمعيّة الاستشراقيّة الأمريكيّة تحت عنوان: «تصويبات مقترحة لنصوص القرآن».

نعم، بناءً على ما عُرف عن بعض هؤلاء المُستشرِقين من سعة الاطّلاع، يأتي سؤال مُلحٌّ ومحوريّ، ألا وهو: هل ثَمَّة ما يبرّر علميًّا كل ما تقدّم من تخبّطات استشراقيّة، وأخرى لم تُذكر خشية الإطالة؟ أم أنّ للمُستشرِقين هدفًا غير علميّ، سعوا ويسعون من وراء السّتار لتحقيقه؟ ولماذا يقعون في أخطاء نخالها لا تخفى على باحث في المراحل الأولى من التّعليم؟

الإجابة عن هذه التّساؤلات تتطلّب التّعرّف بشكلٍ مجمل على بداية الاستشراق، والدَّوافع الحقيقيّة التي أدّت إلى انطلاقه.

ثانيًا: الاتّجاه العلميّ البحت:

وهو الاتّجاه العلميّ الذي لا يخلو من الهفوات، وعدم الفهم، والذي يتعامل مع الأحداث تعاملاً ماديًّا بحتًا، لكنّه ذكر الأحداث وفق منهجٍ تاريخيّ، وقارن بين الأخبار المتعارضة، ووضّح في أكثر من مكانٍ الخلل والتّهافت في الرّوايات وفي النّقل التّاريخيّ، ووضّح ملامح القوّة، ووقف وقفة شجاعة مع السّمة الإنسانيّة للنَّبيّ صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، فبرزت منه وقفات حياديّة منصفة تستحقّ الشّكر على ذلك، فتميّز بعضُ المُستشرقين بمثل هذا المنهج عن غيرهم رغم قلّتهم.

لكن لم يخلُ هذا المنهج من وجود شخصيّات عملت وفق منهج البناء والهدم، فهذه الشّخصيّات وإنْ أظهرت بعض الاحترام، والتّقدير، والمدح، فإنَّها أرادت أن تدسّ السّم بالعسل.

إنّ العَلْمَانيّين من المُستشرقين، وإنْ أعلنوا رسميًّا -وفي أكثر من محفلـ رفضَهم التّقيّد بدين معيّن، لَكنّ المُلاحظ، أنّ كلامهم هذا إنّما ينطبق على ممارساتهم في حياتهم الخاصّة، بينما يصعب عليهم عمليًّا التّخلّي عن ميولهم الكنسيّة أو المؤدلجة في إنتاجهم الفكريّ أو العلميّ المتعلّق بالإسلام أو المسلمين، والشّواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى.

إذًا، هناك قاسم مشترك بين ظاهرتي الاستشراق والتّبشير، يتمثّل في محاولة تشكيك المسلمين في دينهم، وقد كان ذلك مقصدًا رئيسًا لدى أوائل المُستشرِقين، أكانوا يهودًا أم نصارى أم غير ذلك.

وحتّى بعد ما ظهر - في الحِقبة الأخيرة - جيل جديد من المُستشرِقين دعوا إلى تحرير الاستشراق من الأهداف التّنصيريّة، والاتِّجاه به نحو بحث علميّ مستقلّ يستهدف المعرفة وحدَها، فافتُتحت في أكثر من بلد غربيّ أقسامٌ للدِّراسات الشّرقيّة أو العربيّة أو الإسلاميّة في الجامعات[1]، لكنّ المُتتبّع لكتابات هؤلاء المُستشرِقين الجُدد أو مناهج تلكم الأقسام وآثارها، والمتمثّلة في خريجيها وطلاّبها من أبناء المسلمين خاصّةً وما يحملون من أفكار، يجد أنَّ الاستشراق ما زال مادّة مناسبة للتبشير وسندًا قويًّا له، لا سيّما في مجال التّشكيك في الإسلام وتشويه صورته.

نعم، إنَّ الاستشراق ليس كلّه تبشيراً، والتّبشير ليس كلّه استشراقًا. فهناك مُستشرِقون - وإن قلّوا - هدفهم علميّ بحت، ودافعُهم حبُّ الاطّلاع على الحضارات والأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، من غير تعمّد الدَّسّ والتّحريف، وأبحاث هؤلاء غالبًا ما تكون أقربَ إلى الحقيقة، وألصق بالمنهج العلميّ الأصيل.

---

١ - راجع: محمد عزت الطّهطاوي: التّبشير والاستشراق، ص٤٠.

● المبحث الرّابع: المُستشرِقون والتّشيُّع:

أولًا: المُستشرقون والاهتمام بالتّراث الشّيعيّ:

قد حظي تراثَ الشّيعة باهتمام المُستشرقين إمّا باعتبارهم فرقة، أو باعتبارهم حدثًا تاريخيًّا؛ إذ كُتِبت مُصنّفاتَ عدّة عن موضوع الشّيعة، وما يتعلّق بهم، وهي دراسات كثيرة حتى قال عنها الدكتور (عبد الجبار النّاجي) في كتابه "التّشيّع والاستشراق": "لم يدر في خلدي في بداية الأمر حين شمّرت عن ساعدي، وجمعت أدوات بحثي، ومعدّاته لأرسم مخطّطًا لمفرداته الدقيقة، بأنْ تكون إسهامات المُستشرقين عن التّشيّع، وعن سِيرَ أهل البيت بمثل هذه الكثافة، والتّركيز نوعًا، وكمًّا"[1].

لكن ما يميّز هذا النّتاج -وبشكل عامّ- أنّه اتَّسم بعدم الإنصاف، وعدم الدِّقّة وعدم الموضوعيّة بالتّعامل البشريّ مع الحوادث والنّصوص؛ وذلك بسبب اعتماد المُستشرقين على بعض التّراث السّنّيِّ الذي سيطرت عليه الأيديولوجيا السّلطوية الحاكمة بما حوته من مرويّات موضوعة، وأحاديث، وقصص محرّفة، فكانت هذه الرّوايات المنطلق لجملة من المُستشرقين الذين فرحوا بها، وأصبحت مُحرّكًا لهم للطّعن والتّشويه، حجّتهم في ذلك أنها من داخل المنظومة الإسلاميّة،

---

١ - عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص١١.

فتمسّكوا بها، بل زادوا عليها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهواءهم.

كان هدفُ بعض المُستشرِقين في دراستهم مذهب التّشيُّع إبرازَ الهوّة العميقة ما بين الفرق الإسلاميّة، وزيادة الشّرخ الموجود بالأساس؛ لأنّ ذلك يخدم سياستهم الاستعماريّة. لكن بعضهم درس مذهب التّشيُّع بعد أنْ تيقّن من أنَّ هذه الفرقة الإسلاميّة قد أُقصيت عن عمد.

يقول الدكتور (عبد الجبار النّاجي): "إنّ هذا النّفر منهم قد وصل إلى نتيجة، مفادها ضرورة إقصاء المؤلّفات السّنِّيّة لكل من يريد التّدوين التّاريخيّ عن العقيدة الشّيعيّة"[1]، وجملة من المؤلّفات التي حُسبت على التّشيُّع كذلك، فإنّ منطق البحث العلميّ لكلّ باحث عن معرفة أيّ مذهب إسلاميّ، أنْ يرجع إلى مصادر المذهب نفسه لا إلى مصادر المذهب المخالف.

وعلى كلّ حال، فإنّ المؤلّفات الاستشراقيّة لم تنصف الشّيعة، ولم تكتب عنهم بمنهج علميّ خالٍ من الأهواء، أو الميول، أو المُؤثّرات.

لذا، فإنّه لا يوجد أي مؤلَّفٍ استشراقيّ يخلو من الملاحظات، والمغالطات عن مذهب التّشيع، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، والتّاريخ الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، مع عدم الغفلة عن الجهود العلميّة لثلّة من المُستشرِقين في التّحقيق وحفظ التّراث الإسلاميّ.

---

١ - عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص١٧.

يمكن اعتبار القرن الثّاني عشر الميلاديّ - تقريبًا - بداية معرفة أوروبّا بالمذهب الشّيعيّ بوصفها عقيدة وتنظيم سياسيّين، وذلك بالتّزامن مع الحملات الصّليبيّة زمن الدَّولة الفاطميّة، لكنّ الأخبار عن الشّيعة صِيغت بكثير من الخلط، والتّعميم، وعدم التّمييز وعدم الفرز عن غيرها، مع وجود التّأثير الأيديولوجيّ السّياسيّ في طبيعة تلك الكتابات.

ثانيًا: الإشكالات التي أثارها المُستشرقون عن التّراث الشّيعيّ:

نجد جملة من المُستشرِقين والكُتّاب الغَربيّين يعتبرون، أنّ الأفكار الشّيعيّة خاصّة أفكار بعضِ الفرق المحسوبة على الشّيعة انتحالاً للأفكار الوثنيّة الإغريقيّة والفارسيّة القديمة.

فمثلاً: في حادثة الغدير؛ حيث إنّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد نصّ على أنّ خليفته على المسلمين من بعده هو (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام يوم غدير خمّ. رغم ذلك نجد أنّ (مارغليوث- Margoliouth) [1] في كتاب "محمّد وظهور الإسلام ١٩٠٥م" يستبعد مثل هذه التّوصية. كما نجد (بروكلمان- Carl Brockelmann) [2] في كتاب "تاريخ المسلمين

١ - ديفيد صمويل مارغليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) مُستشرق إنكليزي، عمل قساً في كنيسة إنكلترا، ثم أستاذاً لتدريس اللّغة العربيّة في جامعَة أكسفورد.

٢ - كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م).

١٩٣٩م" يجري على المنوال نفسه. وكذلك (جولدتسيهر)[١] الذي أورد رواية غدير خمّ بصيغة التّشكيك.

كما نجد، أنّ (وليم الصّوري- Guillaume de Tyr)،[٢] الذي يُعَدّ من أهمّ مؤرّخي الحملات الصّليبيّة في القرن الثّاني عشر الميلاديّ قد نسب إلى الشّيعة الاعتقاد بأنّ (عليًّا) هو نبيّ الإسلام الحقيقيّ، لولا أنّ الملاك جبرائيل أخطأ وأوصل الرّسالة إلى محمّد.

وسار على هذا النّهج (يعقوب دي فيتري- Jacob de Vitry) [٣] الذي تسنّم منصب مطران عكّا ما بين عامَي ١٢١٦- ١٢٢٨م والذي روّج في ما كتبه من كتابات للآتي: إنّ (عليًّا) كان نبيًّا مرموقًا، تكلّم إليه اللّه تقديرًا تمييزيًّا عن النّبي محمّد[٤].

وكذلك ما روّجه المنصِّر الشّهير (ريكولدو ديمونتو كروس-

---

١ - إغانتس غولدتسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١م) مُستشرق يهودي مجري.

٢ - وليم الصّوري (١١٣٠-١١٨٥م) مؤرخ صَليبي، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرّابع) ملك مملكة بيت المقدس الصّليبيّة، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسيّة أو إيطاليّة.

٣ - يعقوب دي فيتري (١١٧٠- ١٢٤٠ م) مؤرخ وقس ولاهوتي كنسي فرنسي الأصل.

٤ - راجع: عاطف معتمد عبد الحميد: الشّيعة في المشرق الإسلامي تثوير المذهب وتفكيك الخريطة، ص١١٣.

Riccoldo da Monte di Croce)[١] من أنّ الشّيعة يعتقدون بأنّ محمّدًا اغتصب حقوق (عليّ). واعتبر (ريكولدو) أنّ أتباع (عليّ) يحتفظون بقدر من اللّطف وأنّهم أقلّ شيطنة من الأغلبيّة السّنّيّة، أمثال دعوات (ريكولدو) المعادية؛ حيث تزامنت مع دعوات كثيرة على هذه الشّاكلة المعادية للإسلام، كدعوات (رايمون لولـ Ramon Llull)[٢] و(بطرس بسكوالـ Petrus Paschasius)[٣].

لقد قدّم الدبلوماسيّ الفرنسيّ (جوزيف آرثر غوبينو)[٤] الذي

---

١ - ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكي إيطالي ومبشر شديد الخصومة مع الإسلام، له كتاب (تفنيد آيات القرآن).

٢ - رايمون لول أو على نحو أدق (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالوني، انضم إلى رهبنة الفرنسيسكان، انكب على دراسة اللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة قاصداً من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحيّة، له كتاب (الفن الأكبر) الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحيّة ضد الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.

٣ - بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتي إسباني، له كتاب (الفرقة المحمديّة).

٤ - جوزف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢ م) أديب وديبلوماسي فرنسي اشتُهر ببحوثه ودراساته حول الشّرق، وأبرز نتاجاته الفكريّة (التّفاوت بين الأجناس البشريّة) والذي تأثر به أصحاب نظريّة العنصريّة الجرمانيّة، وله روايات ومذكرات عديدة منها (الثّريا) و (قصص آسيويّة) و (جدة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥- ١٨٥٨ م) ترجمة: مسعود سعيد عمشوش. أقام في إيران مدة خمس سنوات، وكان مسؤولاً في السّفارة الفرنسيّة بمدينة طهران.

خدم بصفته دبلوماسيًّا فرنسيًّا في طهران بين عامَي ١٨٥٥ و١٨٥٨م معلومات جديدة للغرب ليس فقط عن الانشقاق السّنّيّ الشّيعيّ -كما صوّره هو- بل عن الاتّجاهين الرئيسين بين علماء فارس: الأخباريّين والأصوليّين، أي منظومتي النّقل والعقل، وهي فروقات أرجعها لأسباب اجتماعيّة قبل أن تكون دينيّة بحسب مُدّعاه.

كما كتب (ألفرد فون كريمر- Alfred von Kremer)[1] في عام ١٨٦٨م عن التّعصّب المفرط للشّيعة وعدم تحمّلهم لغيرهم من أتباع الطّائفة المحمّدية.

وكتب (كرا دي فو- Carra de Vaux) بعد ثلاثين سنة من تاريخ كتابة (كريمر) أنّ الشّيعة لديهم تفكير ليبراليّ حرّ، ويكافحون في مواجهة العقليّة السّنّيّة المتحجّرة ضيّقة الأفق. وأنّ العزلة التي يعيشها الشّيعة تنبع من خوفهم من الاحتكاك بالآخر نتيجة نجاسته.

وهذا في طبيعة الحال افتراء على الشّيعة، وتقوّل عليهم دون أي دليل أو مستند، لتعميق الانشقاق بين المسلمين.

ولقد ادّعى أعداء الشّيعة، نسبة قرآن خاصّ بالشّيعة، وأنّ فيه سورتين لا توجدان في القرآن المتداول هما "النّورين" و"الولاية"، وذلك في

---

١ - ألفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مُستشرِق نمساوي، ألماني الجنسيّة، كان قنصلاً في مصر وبيروت.

كتاب اسمه "دبستاني مذاهب" لمؤلف زرادشتي، ويرجّح أن الكتاب "دبستان مذاهب" ظهر في القرن السّابع عشر أو الثّامن عشر، وقد لاقى هذا الكتاب اهتمام الإنكليز ومنهم (وليم بتروروث بيلي- William Butterworth Bailey) المسؤول في حكومة الهند البريطانيّة، الذي قام بتحقيق الكتاب وترجمته وطباعته ونشره، حتّى أصبح من أهمّ المثالب على مذهب التّشيّع[١].

ولا يخفى دور حكومة الهند البريطانيّة في الهند في إخراج كتاب "الدبستان" إلى النّور ونشره بصورة كبيرة والتّرويج له. مضافًا إلى اهتمام المُستشرقين به كونه مادّة خصبة للطّعن في الإسلام والتّشيّع بوجه خاصّ. فأثاروا مواضيع عدّة في كتبهم ودوائر معارفهم عن تحريف الشّيعة للقرآن[٢].

وكان ذلك كلّه المعين للوهابيّة ومن لفّ لفيفها، ومن سار على ركابها في معاداة الشّيعة، موافقة ومواكبة لدوائر الاستعمار العالميّ وأعداء الدّين الإسلاميّ.

---

١ - للمزيد عن كتاب (دبستان مذاهب) راجع: ليث العتابي: هكذا تكلم خرافة؛ عبد الجبار النّاجي: الإمام علي وإشكاليّة جمع القرآن ودراسات المُستشرِقين، ص١٤٥ ـ ١٩٢.

٢ - عبد الجبار النّاجي: الإمام علي وإشكاليّة جمع القرآن ودراسات المُستشرِقين، ص١٩٣ ـ ٢٤٠.

إنّ الإدارة البريطانيّة وفي سبيل تدعيم مكانتها الاستعماريّة في الهند، قامت في (كلكتا) بنشر كتاب "شريعة محمّد" عام ١٨٠٥م وجاء هذا الكتاب عن مصادر شهيرة للشّيعة الاثني عشريّة، وأهمّ ما اعتمد عليه هذا العمل كتاب "تحرير الأحكام الشّرعيّة على مذهب الإماميّة" وكتاب "إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان" للعلاّمة (الحلّيّ)، وقد قام باختيار النّصوص الضّابط الإنكليزيّ (جون بيلي- John Bailey) الأستاذ في الشّريعة الإسلاميّة واللّغة العربيّة والفارسيّة، وقد سعى (بيلي) إلى نشر عدد واسع من الأسس الشّرعيّة للشّيعة الإماميّة.

وفيما بعد نشرت دراسات مقارنة بين الشّريعة لدى المذهب الحنفيّ والاثني عشريّ. ولم يكن الأخير سوى مختارات من كتاب "تحرير الأحكام" المتعلّقة بأمور الزّواج والطّلاق والرّقّ والهبات والعطايا والوقف والمواريث.

كما تمّت ترجمة كتاب "حياة القلوب" من الفارسيّة إلى الإنكليزيّة، وهو كتاب يتناول سيرة النّبيّ الأكرم ﷺ، كتبه العلاّمة الشّيخ (المجلسيّ)[1].

---

١ - عاطف معتمد عبد الحميد: الشّيعة في المشرق الإسلامي تثوير المذهب وتفكيك الخريطة، ص١١٥.

الفصل الثّاني:
التّراث الإسلاميّ في كتابات المُستشرِقين

● المبحث الأول: المُستشرِقون وأُسس قراءة التّراث الإسلاميّ:

إنّ نظرة أوروبا والعالَم الغربيّ للإسلام والمسلمين ولتراثهم وتاريخهم، تتمثّل في ثلاثة أسباب رئيسة، هي التي سبّبت القطيعة بين الشّعوب الأوروبيّة والإسلام والمسلمين، وهي نفسها تمثّل الأُسس التي اعتمد عليها المُستشرِقون وكتّاب الغرب في قراءتهم وفهمهم للتراث الإسلاميّ، ومن هذه الأُسس:

١. الاعتماد على بعض التّراث الإسلاميّ دون بعضه الآخر؛ إذ اعتمد هؤلاء المُستشرِقون في قراءة الإسلام على تراث غير شامل لكلّ المذاهب الإسلاميّة، بكلّ ما فيه من أخطاء وتحريفات ووضع. فالمُتتّبع لكتب الصّحاح وخاصّة «صحيح البخاريّ» يجده يذكر أحاديث كثيرة لأحكام فقهيّة لم يقلها الرّسول ﷺ بل هي لغيره؛ حيث يقول الأُستاذ

(أحمد صبحي منصور) في هذا الصّدد: «نحن لا نوافق على المقولة الشّهيرة، بأنّ البخاريّ أصحّ كتاب بعد القرآن»[١]. وفي موضع آخر يقول: "أولئك الذين يحملون في قلوبهم قدسيّة للبخاريّ تعصمه من الوقوع في الخطأ إنما يرفعون البخاريّ إلى مكانة الألوهيّة من حيث لا يدرون أو من حيث يدرون"[٢]. ويقول الشّيخ (محمد رشيد رضا) في معرض كلامه عن صحيح البخاري: "ما كلّف اللّه مسلمًا أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه"[٣].

نعم، "إنّ الممارسات الخاطئة للعقيدة الإسلاميّة من قبل عدد من الذين تسلّطوا على المسلمين باسم الخلافة هم الذين شوّهوا صورة الإسلام والمسلمين"[٤]؛ حيث يقول (ابن عرفة) المعروف بـ (نفطويه) (ت٣٢٣هـ) في هذا الصّدد: "إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصّحابة افتُعِلت في أيّام بني أُميّة تقرّبًا إليهم، بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم"[٥].

إذًا، إن المشكلة الرّئيسة موجودة في بعض مصادر التّراث الإسلاميّ

---

١ - أحمد صبحي منصور: القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، ص١٠٨.
٢ - أحمد صبحي منصور: القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، ص١٠٨.
٣ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج٢٩، ص١٠٤ ـ ١٠٥.
٤ - راجي أنور هيفا: الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السّيوف، ص٥٩.
٥ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٦.

التي تعاني من تناقض واضح وجليّ بين ما هو موجود فيها وبين ما هو مثبت ومبَيّن في القرآن الكريم - في حدّ المعلوم والظاهر منه - ولا بدّ من أن ينطلق العلاج من هذه المنظومة التي أعطت الفرصة لنقد الإسلام، والتّجنّي عليه، ومحاربته، وطعنه في الصّميم من قِبل غير المسلمين، وهذا يكون حين نُحسن قراءة تراثنا قراءة صحيحة[١].

٢. الاعتماد على تراث العصور الوسطى:

اعتمد المُستشرِقون في فهم ماهيّة الإسلام على تراث العصور الوسطى الذي بنته العقليّة الصّليبيّة وروّجت له الكنيسة؛ إذ "تُعتبر الحروب الصّليبيّة التي شنّتها الكنيسة الكاثوليكيّة على المسلمين نقلة في العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، وبالتّالي في الكتابات التي نشرها المتولّون لأمر الدعاية الكنسيّة"[٢]؛ وذلك لأنّ "الكنيسة المسيحيّة... رأت في نهوض تعاليم محمّد وصعودها عقيدة منافسة"[٣].

يُبيّن (غاردنر- Gardner) حقيقة الحروب الصّليبيّة وهدفها الأساس والرّئيس؛ إذ يقول: "لقد خاب الصّليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليُقِيموا دولة مسيحيّة في قلب العالَم الإسلاميّ... والحروب

١ - راجع: ليث العتابي: كتاب الأدوات المعرفيّة، ص١٤٥.
٢ - لخضر شايب: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٤٥.
٣ - فرانشيسكو كبرييلي: محمد والفتوحات الإسلاميّة، ص٦٣.

الصّليبيّة لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام"[١].

ومن المعلوم أنّ تراث العصور الوسطى في أوروبا بشأن الإسلام هو تراث معادٍ، وصف المسلمين بالوحوش، والإسلام بأشنع الأوصاف، و(النّبيّ محمّد) (ص) بصفات لا يمكن لنا أنْ نذكرها لشناعتها.

يقول الأستاذ (عبد الجبار النّاجي): "إنّ ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلّفات كُتّاب العصور الوسطى قد أثّرت في الفرد الأوروبيّ كثيراً، ثمّ اتّسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام"[٢].

لقد كانت تعاليم الكنيسة وعقليّة القرون الوسطى المُحرّك الدائم والأبديّ حتّى يومنا هذا لكثير من كُتّاب أوروبا والغرب.

٣. الاعتماد على الكتابات غير الموضوعيّة لمجموعة من المُستشرِقين الأوائل:

نحن على علم، بأنّ أكثر المُستشرِقين كتب لخدمة أهداف دينيّة واقتصاديّة واستعماريّة خاصّة بهم وموجّهة ضدّ الإسلام. بل كانت أهداف أكثرهم مقصودة في سبيل الطّعن والتّشويه.

فالكتابات الاستشراقيّة الحاقدة سلّطت على الإسلام وشخص (النّبيّ

١ - عمر فروخ ومصطفى خالدي: التّبشير والاستعمار في البلاد العربيّة، ص١١٥.
٢ - عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص١٣٩.

محمّد) ﷺ حقدًا وحسدًا وبغضًا لا مثيل له. ليعكس ذلك كلّه مدى تسلّط الفكر الغربيّ على الأفكار الأخرى، ويعكس مدى التّهميش الموجود في أوروبا والغرب للشعوب غير الغربيّة، لتثبت بذلك نظريّة «سيادة العرق الغربيّ» المعمول بها في الغرب، والمرتكِزة في ذات الفرد الغربيّ على المستوى العمليّ عند نظره إلى باقي الشّعوب، ممّا دفع ذلك كلّه بقادة الاستشراق «المؤدلج» إلى رمي الإسلام بالاتّهامات الباطلة، والادّعاء على نبيّ الإسلام ﷺ بكلّ ما يحلو لهم من أباطيل وأكاذيب ما أنزل اللّه بها من سلطان، وليقفوا حاجزًا منيعًا أمام الأفكار الإسلاميّة خوفًا من أنْ تتأثّر بها شعوبهم، وبالتّالي يكون لتلك الشّعوب موقف إيجابيّ من الإسلام.

يقول (مونتغمري واط- Montgomery Watt) في هذا الصّدد: "ليس بين رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمّد... فلقد كان الإسلام خلال قرون عدّة العدوّ الأكبر للمسيحيّة... وأخذت الدّعاية الكبرى في القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة العدوّ الأكبر في الأذهان، حتّى ولو كانت تلك الدّعاية خالية من كلّ موضوعيّة... حتّى إذا ما حلّ القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافيّة... في أذهان الصّليبيين أثر يؤسف له"[1].

---

١ - مونتغمري واط: محمد في المدينة، ص٤٩٣.

لقد اهتمّ المُستشرِقون بكلّ ما يتّصل بالشّرق، فكانت عنايتهم بدراسة تراث الهند والصّين وبابل وآشور ومصر وبلاد فارس، لكنّ اهتمامهم بالتّراث العربيّ الإسلاميّ قد فاق الاهتمامات الأخرى كلّها، في محاولة دؤوبة لاختراق أفق الشّرق الفكريّ. فإنّ "الحضارة الإسلاميّة وليدة البعثة النّبويّة، وتلك الحضارة مثّلت حضارات اليونان والرّوم والفرس، وشملت أممًا مختلفة الأمزجة والطّبائع، فلم تكن حضارة العرب فحسب، وإنّما كانت حضارة الأمم الإسلاميّة كلّها أو قل هي حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالَم القديم بالعالَم الحديث، ولقد اهتمّ العالَم الحديث اهتمامًا خاصًّا بالدّور الذي لعبته تلك الحضارة، فانكبّ فريق كبير من علماء الغرب على دراسة تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دين سمح كريم، ومن لغة غنيّة بمفرداتها ومرنة باشتقاقاتها، وجميلة برسم حروفها، ومن أدب يُصوّر نبضات القلوب وخلجات النّفوس، ونجوى الضّمائر، ومن تصوّف وفناء في التّأمّل، ومن فلسفة قد بلغت الغاية في عمقها وشمولها، ومن حكم وتشريع لم تصل الإنسانيّة بعد إلى أفضل منه، وقد أذاعوا كثيرًا من دراساتهم في كتب عدّة ومجلّات خاصّة، ثمّ رأوا منذ بداية هذا القرن أن يجمعوا خلاصة بحوثهم في كتاب جامع يتّبعون فيه منهج القواميس والمعاجم فكتبوا دائرة المعارف الإسلاميّة باللّغات الأوروبيّة الكبرى؛ حيث أكّدوا ذلك الاهتمام البالغ بالتّراث العربيّ الإسلاميّ

الخالد، ودوره البنّاء في تربية الإنسان المسلم والقضاء على النّظام الفكريّ العبوديّ والإقطاعيّ، وقفز الفكر الإنسانيّ قفزة محسوسة نقلته من العبوديّة إلى الإنسانيّة، وأثّرت في الفكر الأوروبيّ بأسره في شتّى ميادين العلوم والآداب والفنون"[1].

إنّ هناك كثيراً من كتابات المُستشرِقين التي اتّسمت بعدم الإنصاف، وخاصّة في مجال السّيرة والتّاريخ، فجملة من المُستشرِقين كانت كتاباتهم لأجل إثارة الشّبهات حول سيرة النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وسيرة أهل بيته عليهم السلام.

● المبحث الثّاني: أسباب الهجمة على الإسلام ودوافعها:

أوّلًا: عداء تاريخيّ ودينيّ:

لم يحظَ دينٌ قطّ بكثرة أعدائه وشراستهم مِثل ما حظيَ بِهِ الدينُ الإسلاميّ، ولم يحظَ شخصٌ بكثرة المعادين والمحاربين بمثل ما حظي به شخص (النّبيّ محمّد) صلى الله عليه وآله، ولم تحظَ عائلة وأهل بيت بتقتيل وتشريد ومحاربة على طول الزّمان بمثل ما مُني به أهل بيت النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وعترته الطّيبة الطّاهرة في كل زمانٍ ومكان.

---

١ - جان بول روا: الإسلام في الغرب، ص١٤٥ـ ١٥٢.

ونحن الآن نشهد هجمة معاصرة ضدّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، وضدّ الإسلام والمسلمين في جميع أصقاع العالم، حتّى صار اسم الإسلام مقرونًا بالإرهاب، وغدا الإسلام دين القتل والسّلب والنّهب، ونبيّ الإسلام هو ذلك الرّجل الذي لا يهتمّ إلّا بالحروب والمغانم والنّساء.

حاشا لرسول اللّه صلى الله عليه وآله أنْ يُتّهم بمثل ذلك وهو القائل صلى الله عليه وآله: «أدبّني ربيّ فأحسن تأديبي»[1].

وممّا يدلّ على أنّ أخلاقه صلى الله عليه وآله هي أخلاق إلهيّة ربّانيّة قوله -تعالى-: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾ [النّجم: ٣-٤]، وقوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

إنّها هجمة شرسة ضدّ الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله من طعنٍ وتشويهٍ للدين الإسلاميّ ولكتاب اللّه العزيز، ظهر جليًّا وواضحًا بما صدر من كتب حاقدة وكتابات مُغرِضة تمخّض عنها تيّار منحرف تمثّل في كتاب "آيات شيطانيّة" لـ (سلمان رشديّ) وما شاكله من كتابات التّيّار المنحرِف والمنسلِخ عن الإسلام، أو المتلبّس بعقد نفسيّة معيّنة، مضافًا إلى ظهور رسومات كاريكاتوريّة مسيئة للنّبيّ صلى الله عليه وآله في الدنمارك وفرنسا وغيرهما من الدول الأوروبيّة التي ترفع شعار الحريّة زورًا وبهتانًا،

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٦، ص١٩٤؛ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج١، ص٩٥.

وحرق القرآن الكريم في أمريكا[1] المنادية بالحريّة وحقوق الإنسان! وغيرها من الدول الأخرى، أو جعل القرآن الكريم هدفًا للرمي من قِبل مرتزقة الاحتلال الأمريكيّ في العراق وأفغانستان.

يجعلنا ذلك كلّه نقول، إنّ هذا كلّه لم يكن مصادفةً ولا اعتباطًا، بل ما هي إلّا هجمة مُنظّمة ومُعدّة مسبقًا هدفها القضاء على الإسلام نهائيًّا.

بات الآن الإسلام مصدر قلق كبير للدول الكبرى والدوائر الاستكباريّة؛ إذ لا أحد يمكنه أن يقف بوجه طموحاتهم الاستعماريّة ومخطّطاتهم الاستكباريّة غير الإسلام "المحمّديّ الأصيل"، إسلام النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

ثانيًا: هجمة منظّمة ومقصودة:

كانت الهجمة الشّرسة التي ابتدأت من أوّل يوم أعلن فيه (النّبيّ محمّد) صلى الله عليه وآله نبوّته المباركة ودينه الإسلاميّ القويم، فكان الصّراع داخليًّا عن طريق المؤامرات الخفيّة ومحاولات الغدر والاغتيال، والتّشويه والأذيّة والصّدّ والتّعذيب والمحاصرة.

ما إنْ مَنَّ اللّه -سبحانه وتعالى- على نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين

---

١ - كما حصل على يد القس الأمريكي المتطرف (تيري جونس).

بدولة إسلاميّة بقيادة (النّبي محمّد) صلى الله عليه وآله مقرّها المدينة المنوّرة، حتّى دخل إلى الصّراع عنصر جديد محارب للإسلام ألا وهم «اليهود»، فهم بخبثهم ودهائهم، وشهرتهم بقتل الأنبياء عليهم السلام وأبنائهم الصّالحين، كانوا السّبّاقين في محاربة الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال عقد التّحالفات مع كل أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام وإثارة النّعرات، وجمع الحشود والأحزاب، وتجييش الجيوش، فكانوا أخطر عنصر وأخبثه حارب الإسلام، حتّى طردهم النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من أماكنهم وأبعدهم عن مقرّ الدّولة الإسلاميّة لإثارتهم الفتن والقلاقل، ولعدم اعترافهم بالإسلام بوصفه دينًا سماويًّا رغم تصريح كتبهم بذلك.

وبعد وفاة النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان لبروز ظاهرة «النّفاق» كبير الأثر في مسيرة الإسلام، والمتمثّلة بالعداء الداخليّ والمؤامرات الداخليّة، وخيانة مبادئ الإسلام من قِبل مُدّعي الإسلام ومعتنقيه خوفًا وطمعًا، تمثّل بأحداث السّقيفة وقضيّة اغتصاب الخلافة، إلى تسلّط معاوية وبني أُميّة -وهم أعداء الإسلام صراحة- على الأمّة ليرجعوها إلى الجاهليّة الأولى مرّةً أخرى، ويحاربوا الدّين الإسلاميّ صراحةً، ويفسدوا منظومته المتكاملة عن طريق محاربة أهل بيت النّبيّ عليهم السلام وتقتيلهم وتشريدهم، واتّباع طريق الوضع والتّحريف، واختراع الأحاديث والقصص التي لا أساس لها من الصّحة، بهدف تشويه الإسلام وشخص النّبيّ صلى الله عليه وآله، ورفع قدر بني أُميّة خاصّة (معاوية بن

أبي سفيان) وإضفاء القدسيّة على شخصه. فكثُر الوضع، وكثُرت الأحاديث الموضوعة، وفُسِّرت آيات القرآن الكريم بحسب المصلحة، وما يوافق الاتجاه السّياسيّ والاقتصاديّ. فحصل جرّاء هذا التّراكم أن تكوّنت منظومة حديثيّة - كتب أحاديث أغلبها موضوع - ومنظومة في التّفسير قائمة على الإسرائيليّات التي لا أساس لها من الصّحة، التي أعطت المبرّر لأعداء الإسلام كي يطعنوا به. ودليلهم على ذلك كتب الأحاديث، وكتب التّفسير؛ كونها هي التي تمثّل تراث الإسلام فقط.

لقد مثّل ذلك خللاً واضحًا في التّراث الإسلاميّ، بسبب الاعتماد على كتب أحاديث معيّنة، اعتمدت بدورها على مقولات السّلاطين، وأحاديث الواضعين حقدًا وطمعًا، ودسائس أهل الكتاب من إسرائيليّات وخرافات لا يتقبّلها العقل السّليم، والفطرة الإنسانيّة السّليمة.

حفّز ذلك كلّه أعداء الإسلام على أنْ يبحثوا عن نقاط الضّعف والتّهافتات التي يمكن من خلالها توجيه النّقد للإسلام بكلّ رموزه ومنظومته. فكان السّباق الحثيث والمحموم لمدارس الاستشراق على دراسة التّراث الإسلاميّ، من أجل التّعرّف عليه وتشخيص مواطن القوّة والضّعف فيه، وبالتّالي توجيه النّقد إليه، بل وصل ببعضٍ منهم إلى انتقاده والطّعن فيه ومحاربته علنًا، بل اختراع النّقائص وإلصاقها به، وابتداع المفتريات ورميه بها.

لقد خلقت بعض المدارس الكَنَسيّة من شخص (النّبيّ محمّد) ﷺ

عدوًّا لها، وضعت له الصّفات غير الجيّدة، وجعلت منه "المارد" الذي تخيف به رعيتها، وتمنعهم من الاقتراب منه - ولو على سبيل معرفته - تحت شعار الخوف عليهم من هذا المارد، وهي في الحقيقة لا تخاف إلّا على مصالحها وهيبتها وكيانها، ومن أن يتعرّف أبناء رعيّتها على الحقيقة، وبالتّالي يتثقّفون بثقافة تتضارب مع مصالحها.

فأصبح مصطلح "الاستشراق" يدلّ على الحرب الموجّهة ضدّ الإسلام، وأصبح الاستشراق أداة الاستعمار وأفضل دليل ومُعين له في حربهِ على البلاد العربيّة والإسلاميّة حتّى يومنا هذا، ولقد تحوّلت بعض مدارس الاستشراق إلى مراكز استخباراتيّة، ومنظومات مخابراتيّة هدفها تدمير الإسلام وإضعاف المسلمين، ونهب الثّروات والمقدّرات للشعوب المستضعفة والتّوسع على حسابها. فـ "الحركة الاستشراقيّة تاريخيًا، ولا سيّما في القرن العشرين قد تقاطعت - شئنا أم أبينا - مع موجة السّياسات الاستعماريّة الأجنبيّة لبلادنا، وصارت وجهًا أو واجهة، وأحيانًا مرآة نرى - نحن العرب والمسلمون - فيها وبغضب عارم تقسيم فلسطين الحبيبة ومنح الصّهاينة ملاذًا في الأرض السّليبة"[1]. يقول الكاتب (حسين الهراوي): "إنّ الاستشراق مهنة ضد الشّرق وضد الإسلام"[2].

---

١ - عبد الجبار ناجي: التّشيع والاستشراق، ص٦٩ ـ ٧٠.

٢ - خيري منصور: الاستشراق والوعي السّالب، ص٥٣.

إنّ التّكبر والاستعلاء يأبيان بالغربيّ التّنازل والتّفكير بعقلانيّة وإنسانيّة تجاه الإسلام، فيبقى مُتكبرًا في كلّ شيء حتّى في أفكاره، فضلاً عن تاريخه المرير المليء بالصّراعات وحروب القتل وسفك الدماء. يقول المُستشرِق الإنكليزي (هاملتون جب- Hamilton Alexander Rosskeen Gibb)[١]: "نحن اليوم أمام جوّ مثقل بالدعاية، فمن واجب كلّ باحث أنْ يحدّد بدقّة لسامعيه ولنفسه المبادئ التي ترتكز عليها وجهة نظره"[٢].

فلا يعطي الباحث الحقيقيّ للجماهير من السّامعين والمتلقّين أفكارًا مؤدلجةً، هدفها واضح وغاياتها معروفة، ولا يحاول الباحث الحقيقيّ أنْ يبثّ الدّعايات المغرضة التي لا واقع لها وسط جمهور المتلقّين خدمةً لأهداف السّياسة والدوائر الحاكمة، ولا يكتب الباحث الحقيقيّ أفكاره وأحكامه المسبقة التي تعكس عقليّته ودينه وأيدولوجيّته وعرقه، وما يؤمن به من أفكار ومعتقدات، هدفه في ذلك إثبات صحّتها على نحو دوغمائيّ وإقصائيّ بحت.

إنّ على الباحث الحقيقيّ أنْ يبحث عن الحقيقة، ويفتّش عنها، ويصرّح بها رغم كلّ شيء، وضدّ كل مُعارِض. فالحقيقة أمانة علميّة

---

١ - هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١ ميلادي) مُستشرِق إنكليزي أميركي، له « الاتجاهات الحديثة في الإسلام».

٢ - هاملتون جب: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص٢٢.

على الباحث أنْ يؤدّيها بالوجه المطلوب، وأنْ يعطيها ما تستحقّه في ميزان البحث العلميّ من احترام وتقدير، وإعلانٍ وإظهارٍ لها، ليعرفها الجميع، ويستفيد منها طلّاب العلم والباحثون عن الحقيقة.

لكن، وعلى العكس، نجد أنّ مقولة "إن التّاريخ يكتبه المنتَصر"، وإنّ "الإعلام بيد الأقوى" هما السّائدان، وهما المسيطران، وبالتّالي تكوّنت أفكار حتّى صارت حقائق وتاريخًا يُرجع إليه للبتّ في قضايا بنتها الدّعاية، وكوّنها المنتَصِر، وألّفها المتغطرس، كان على الكلّ القَبول بها على مضض، وهذا ما نعاني منه في تراثنا العربيّ والإسلاميّ، وكذلك المعاناة متبادلة بالنّسبة للشعوب الغربيّة، جرّاء ما فُرض عليها من أفكار، أسّست في ما بعد العقليّة الغربيّة، باتّجاهاتها وميولها ومخزونها الفكريّ والحضاريّ.

يقول الدكتور (عبد الجبّار ناجي): "إنّ ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلّفات كُتّاب العصور الوسطى قد أثّرت في الفرد الأوروبيّ كثيراً، ثمّ اتّسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام ... وتجاوز تأثير هذه الأساطير والأباطيل حتى امتدّ إلى كتابات القرن السّابع عشر للميلاد"[1].

إنّ الهجمة التي شُنّت على الإسلام، وذلك من أجل حرفه عن مساره

---

١ عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص١٣٩.

الصّحيح، ومحو الدّين، وتشويه حقيقته، كانت هجمة شرسة للغاية، رافقت ظهور الإسلام، واشتدّت بعد وفاة النّبيّ ﷺ، واستعر لهيبها بعد استشهاد (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام، وذلك بعد أن تسلط على الدّين من كانوا أعداءه حتى الأمس القريب. فلم يكن الهجوم خارجيًّا في بادئ الأمر، بل كانت ضربة من العمق، لتتّبعها بعد ذلك الهجمات من الداخل والخارج.

لا بدّ لنا من التّمعّن في الحقائق، لمعرفة من هم أعداء الدّين والمحرّفون له، ومن جعل الدّين غطاءً وسُلَّمًا نحو السّلطة والمصالح والمغانم الدنيويّة من جهة. لمعرفة من هم أُسس الدين وركائزه وحفظته وخزنة علم اللّه - تعالى- من جهة أخرى؛ وذلك في سبيل التّعريف بالهجمة التي شُنّت على الإسلام الحنيف.

الفصل الثّالث:
(الإمام الحسن) عليه السلام سيرة ومسيرة

● المبحث الأوّل: ولادته وحياته مع النّبيّ الأكرم وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم:

أوّلًا: المحطّات الأولى والمواقف المهمّة:

لا بدّ هنا من التّطرّق لأهمّ المحطّات في حياة (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام، لتكون لدينا صورة واضحة عنه، تفيدنا في الرّدّ على الافتراءات التي لازمت تاريخه.

ومن أهمّ هذه المحطّات:

١- الولادة المباركة:

وُلد (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام في اليوم الخامس عشر من شهر

رمضان المبارك سنة ٣ هـ[١]، وأوّل ما قام به رسول اللّه صلى الله عليه وآله عندما جيء إليه بـ (الإمام الحسن) عليه السلام أن ألباه بريقه[٢]، وضمّه إلى صدره، ورفع يديه بالدعاء له: "اللّهم إني أعيذه بك و ذريّته من الشّيطان الرّجيم"[٣]، ثم أذّن النّبيّ صلى الله عليه وآله في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى[٤]، ثم سمّاه بأمر من اللّه تعالى[٥]، ثم عقَّ عنه[٦]، و حلق رأسه[٧]، و كنّاه أبا محمد[٨]، و كان من ألقابه عليه السلام: السّبط، والزّكيّ، والمجتبى، والسّيد، والتّقيّ[٩].

وكانت ملامحه عليه السلام تحاكي ملامح جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فقد رُوي عن (أنس بن مالك) أنّه قال: "لم يكن أحد أشبه بالنّبيّ من الحسن بن عليّ"[١٠].

---

١ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصّحابة، ج١، ص٣٢٨؛ ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٣٦٨، جلال الدين السّيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧٣، بطرس البستاني: دائرة المعارف، ج٧، ص٣٨.

٢ - أي: أطعمه بريقه كما يطعم الصّبي اللّباء.

٣ - بطرس البستاني: دائرة المعارف، ج٧، ص٣٨.

٤ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٦، ص٣٩١.

٥ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥٦.

٦ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥٨.

٧ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥٨.

٨ - ابن الأثير: أُسْد الغابة، ج٢، ص٩.

٩ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥٩.

١٠ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥٩.

ولقد استخدم (النّبيّ محمّد) ﷺ ألطف التّعابير وأرقّها في مدح (الحسن) عليه السلام. وفي معاملته، يقول (عمير بن إسحق): "رأيت (أبا هريرة) التقى بـ (الحسن بن عليّ) عليه السلام فقال له: اكشف لي بطنك حتى أُقبّل حيث رأيت رسول اللّه ﷺ يقبل منه، قال: فكشف عن بطنه فقبّله"[١].

٢- على عاتق النّبي ﷺ وظهره:

رُويَ عن (ابن عباس)، أنه قال: "أقبل النّبيّ ﷺ، وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام. فقال رسول اللّه ﷺ: ونعم الرّاكب هو"[٢].

ورُويَ عن (عبد اللّه بن عبد الرّحمن بن الزّبير)، أنّه قال: "أشبه أهل النّبي ﷺ وأحبهم إليه (الحسن). رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته - أو قال ظهره - فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع، فيفرج له بين رجليه، حتّى يخرج من الجانب الآخر"[٣].

---

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٢، ص٤٢٧ ـ ٤٤٨؛ سليمان بن أحمد الطّبرانيّ: المعجم الكبير، ج٣، ص١٩.

٢ - ابن حجر الهيثميّ: الصّواعق المحرقة، ص٨٢؛ أبو نعيم الأصبهانيّ: حليّة الأولياء، ج٢، ص٣٥.

٣ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصّحابة، ج٢، ص١١.

ورُوي أنّ النّبي صلى الله عليه وآله صلّى إحدى صلاتيَ العشاءين، فسجد سجدة أطال فيها السّجود، فلمّا سلّم قال له النّاس في ذلك، فقال: "إنّ ابني هذا - يعني (الحسن) - ارتحلني فكرهت أن أُعجّله"[1].

وصعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله على المنبر ليخطب، فجاء (الحسن)، فصعد المنبر، فوضعه النّبيّ صلى الله عليه وآله على رقبته، حتّى كان يرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد وهما يلمعان على صدر الرّسول، ولم يزل على هذه الحالة حتّى فرغ النّبيّ صلى الله عليه وآله من خطبته[2].

٣- وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله:

لقد كان لهذه الحادثة أثر كبير في أهل البيت عليهم السلام، وخاصّة (الحسنين) عليهما السلام، لِمَا لهما من علاقة مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، وما للنّبيّ صلى الله عليه وآله من علاقة معهما، تلك العلاقة التي تتخطّى حيّز المحبّة والحنان، لتبلغ مصافّ العلاقة الإلهيّة.

فلمّا علم (الحسن) و(الحسين) عليهما السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله سيفارقهما اشتدّ بهما الحزن، وأذهلهما الخطب فجاءا، فألقيا بنفسيهما على النّبيّ صلى الله عليه وآله وهما يذرفان الدموع، فجعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقبّلهما وهما يقبّلانه،

---

١ - ابن كثير: البدايّة والنّهايّة، ج٨، ص٣٣.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص٨٨.

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام أن ينحّيهما عنه، فقال صلى الله عليه وآله: «دعهما يتمتّعان منّي وأتمتّع منهما فستصيبهما بعدي إثرة ...»[١]. وذلك بغرض تبيان ما سترتكبه الأمّة بحقّ ولدَيه، وما سيلاقيه أهل بيته من بعده. ولقد صدق الصّادق الأمين في ذلك، والتّاريخ أكبر شاهد على ذلك.

٤- انزل عن منبر أبي:

دخل الإمام (الحسن) عليه السلام في يوم من الأيّام إلى المسجد النّبويّ فرأى أبا بكر على منبر الرّسول يخطب في النّاس، فخاطبه قائلاً: «انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك»[٢].

ثانيا: شهادة والديه عليهما السلام والإمامة والهدنة:

١- شهادة الصّديقة الطّاهرة (فاطمة الزّهراء) عليها السلام:

لقد ترك نبأ شهادة (الزّهراء) عليها السلام أثره في (الحسنين) عليهما السلام، فهو لم يمهلهما؛ إذ جاء بعد مدّة قصيرة جدًّا من وفاة جدّهما الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فكان وقع هذا الأمر عظيمًا على أولادها؛ إذ خيّم الحزن عليهما، فليست (الزّهراء) عليها السلام امرأة عاديّة، وليس فراقها بالهيّن، وليست قلوب

---

١ - أبو المؤيّد الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١١٤.

٢ - محب الدين الطّبري: الرّياض النّضرة، ج١، ص١٣٩، أبو المؤيّد الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٩٣.

أولادها بالقلوب العاديّة كذلك، فهي قلوب صغيرة، وطاهرة، ورقيقة، وشفّافة لا تتحمّل ألم ذلك الفراق المرير.

٢- شهادة (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام:

فلمّا بادر أشقى الأوّلين والآخرين، إلى ضرب رأس الإمام (عليّ) عليه السلام في محراب صلاته، أمر عليه السلام أن يُحمل إلى داره، فحُمِل والنّاس تهرول خلفه، وهم يهتفون: «قُتل إمام الحقّ».

ولمّا استقرّ في ثَوِيِّه استقبلته بناته وعياله بالبكاء والعويل، والتفت إليه (الإمام الحسن) عليه السلام قائلاً: «يا أبه من لنا بعدك! إنّ مصابنا بك مثل مصابنا برسول اللّه ...»[1].

٣- توليه عليه السلام لمنصب الإمامة والخلافة:

بعد شهادة الإمام (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام، كانت الكوفة بصورة خاصّة، تمرّ بظروف صعبة، فضلاً عن العالم الإسلاميّ آنذاك، فبعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن أحدٌ يمتلك مؤهّلات مواصلة النّهج العلويّ سوى ابنه البكر - أي الأكبر وهو (الإمام الحسن) عليه السلام- فبايعته أهل الكوفة، واشترطوا في البيعة أنْ يواصلوا الحرب ضدّ معاوية، لكنّ (الإمام الحسن)

١ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج١، ص٥١٣.

عليه السلام قبل البيعة بشرط أن يعمل بما يرى فيه الصّلاح للأمّة، دون أن تملي أو يملي عليه أيّ أحدٍ رأيًا، فهو الإمام المفترض الطّاعة، والخليفة الذي يرى الصّالح من الأمور، ولا موجّه له إلا رضا اللّه تعالى.

٤- الهدنة التي لا بدّ منها:

كان (معاوية) قد خطّط لسحب البساط من تحت أقدام (الإمام الحسن) عليه السلام، وساعد على ذلك تخاذل النّاس عن نصرة (الإمام الحسن) عليه السلام والوقوف معه من أجل حرب (معاوية).

علمًا أنّه جاء في بنود الصّلح أمور مهمّة هي: أنْ لا يُسمّى (معاوية) أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وأنْ لا يتعقّب شيعة (عليّ)، وأنْ يفرّق في أولاد قتلى الجمل وصفّين ألف ألف درهم، وأنْ يجعل ذلك من خراج دار أبجرد، وأنْ لا يشتم (عليًّا).

ثالثا: الرّعاية المعصومة للمسلمين ومواجهة الفتن:

١- رعاية شؤون المسلمين:

بعد الهدنة، كان على (الإمام الحسن) عليه السلام رعاية شؤون الأمّة الإسلاميّة، فكان يجلس في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله لرعاية مصالح الأمة، ولحل النّزاعات، ولتفقد المحتاجين، ولنشر سيرة عمليّة في الأخلاق والتّعامل الحسن، ولقد عجّت الكتب بفضائل (الإمام الحسن) عليه السلام وأخلاقه لكلتا المدرستين.

٢- الاهتمام بنشر المبادئ الإسلاميّة:

لقد اهتمّ (الإمام الحسن) عليه السلام بنشر المبادئ الإسلاميّة، فاستغلّ سنيَّ ما بعد الهدنة، وهي تسع سنوات كاملة، في نشر التّراث الإسلاميّ الحقيقيّ، المتمثّل بتراث أهل البيت عليهم السلام، فنشر تراثًا ضخمًا في تفسير القرآن الكريم، وفي التّراث العَقَدِيّ، والفقهيّ، والخُلُقيّ، يحتاج إلى من يجمعه ويركّز على حقبة السّنين التّسع الزّاخرة بالعلوم والمعارف الجمّة من حياة المبادئ الإسلاميّة.

٣- مواجهة الفتن ورد الشّائعات:

كان لزامًا على (الإمام الحسن) عليه السلام تحرير الوعي المجتمعيّ للأمّة، وذلك من أجل مواجهة الفتن، وردّ الشّائعات، والقضاء على الشّبهات، وقد تصدّى واقعًا لها، ومنها شائعات أثارها عليه الخوارج، وأخرى كانت من بني أُميّة، وثالثة من بعض الجهلة، ممن لا يفقهون شيئًا، ولا يعرفون حقّ الإمامة ولا حقّ الإمام المعصوم.

٤- تحرير الوعي المجتمعيّ للأمة:

لقد أسهم (الإمام الحسن) عليه السلام في تحرير الوعي المجتمعيّ للأمّة الإسلاميّة بشكلٍ عامّ، وللمجتمع الشّاميّ بوجه خاصّ.

فمجتمع الشّام الذي لمّا وصله خبر مقتل (الإمام عليّ) عليه السلام في

محراب صلاته قال: أعليّ يصلّي. تحوّل ببركة مشروع (الإمام الحسن) عليه السلام في تحرير وعي الأمّة إلى غير ذلك، والشّاهد أنّ جيش (يزيد بن معاوية) لما أدخل سبايا آل البيت عليهم السلام إلى الشّام، أشاع بأنّهم من الديلم أو من التّرك وغير ذلك، وأخفى كونهم من آل البيت، وأنّهم من أُسرة (علي بن أبي طالب) عليه السلام خوفًا.

ولمّا عرف أهل الشّام بحقيقة السّبايا ثارت ثائرتهم، بل حصلت الثّائرة في داخل قصر (يزيد بن معاوية) الأمويّ. فذلك أجلى المصاديق، وما هو إلا مصداق واحد من دور الإمام الحسن عليه السلام في تحرير الوعي المجتمعيّ للأمّة الإسلاميّة.

● المبحث الثّاني: مشروع الإصلاح المرير:

أوّلًا: في بيان حقيقة الإصلاح والمراد به:

اشتُقّت كلمة الإصلاح من الفعل (ص ل ح)، والذي يقابل المعنى المضادّ لـ (فسد)، كما أنّ المعاني التي وردت في القرآن الكريم لمفهوم (الإصلاح) كلّها تقابل معنى (الإفساد).

فـ (الإصلاح) هو التّقويم لما اعوجّ، والتّصحيح لمن أخطأ، والتّوجيه لمن تحيّر. والإصلاح هو وضع الأسس الصّحيحة، والعلاج النّاجع

لأخطاء برزت في المجتمع من أجل السّيطرة عليها وإصلاحها، بل إنهائها من أجل بناء مجتمع صالح، لذا فإنّ الإصلاح يتضمّن عمليتين، قد تجتمعان، وقد تفترقان، وهما:

١ - العمل الصّالح.

٢ - السّعي إلى رفع الفساد.

فـ (الإصلاح) يكون في المواطن التي غيّرت معالمها يد الإفساد المادّيّ والمعنويّ، وذلك من أجل إرجاع كلّ أمر إلى طبيعته، كما أنّه يشترط في من يقوم بعمليّة الإصلاح أنْ يكون متّصفًا بالصّلاح حقيقة وواقعًا لا ادّعاءً و تجوّزًا وزورًا.

و(الإصلاح) يجري ضمن دوائر ضيقة تارة، وضمن دوائر واسعة تارة أخرى، وكلّما كان نطاق الإصلاح أوسع وأشمل كانت عمليّة الإصلاح أصعب وخياراتها أكبر وأعظم، ولعلّ قوله -تعالى- على لسان (نبيّه شعيب) عليه السلام فيه إشارة إلى هذا المعنى:

قال تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨]. وغيرها من آيات القرآن الكريم الدالّة على ذلك.

إنّ الدعوة الإصلاحيّة هي دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، التي ختمت بالرّسالة المحمّديّة الأصيلة التي جعلت من كلّ مسلم داعية للإصلاح في حدود الممكن والمستطاع، ووفق الضّوابط الشّرعيّة الصّحيحة

تحت مسمّى شرعيّ ألا وهو: "الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر"؛ لأنّ الدّين النّصيحة، والدّين الإصلاح، والدّين الألفة والمحبّة والتّراحم والتّكاتف والتّكامل.

بعد أنْ اختلف النّاس، وظهرت عقائد الشّرك والابتعاد عن اللّه تعالى، كان لا بدّ من إرجاع الإنسان إلى الطّريق الصّحيح، والفطرة السّليمة، وإلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، فكان هذا هو دور الأنبياء والمرسلين ﷺ من أجل هداية النّاس وإرشادهم إلى الطّريق الإلهيّ الصّحيح. فكان الأساس في دعوة الأنبياء جميعًا، وقبل كلّ شيء هو: توحيد اللّه تعالى، وبالتّالي محاربة الشّرك؛ إذ إنّ ذلك يعتبر الأساس في بناء المجتمع الإنسانيّ الصّالح، والقائم على العقل والفطرة السّليمة، وصولاً إلى التّكامل، وبالتّالي تأسيس مجتمع واحد قائم على عبادة اللّه تعالى، وقادر على تحقيق الأهداف الإلهيّة لخلق الإنسان.

يقول أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) ﷺ عن علّة إرسال الأنبياءﷺ: "واصطفى -سبحانه- من ولده - أي (آدم) ﷺ - أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم. لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم، فجهلوا حقّه واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشّياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته. فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدّرة: من

سقف مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل -سبحانه- خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزّل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم ولا كثرة المكذّبين لهم"[١].

كما أنّ الملاحِظ لآيات القران الكريم يجد أنْ أولى القضايا المطروحة من الأنبياء عليهم السلام هي: قضيّة إعادة المجتمع البشريّ إلى التّوحيد، ودعوة النّاس إلى عبادة اللّه -تعالى- وحده لا شريك له.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: "إنّ له سفراء في خلقه يعبرّون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم"[٢].

ويمتدّ دور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لعلاج كلّ حالات الانحراف فهم جاؤوا لإصلاح البشريّة جمعاء، وفي جميع الصّعد والمجالات؛ وذلك من أجل بناء مجتمع إنسانيّ متكامل. فبعد أنْ كان الدور الأوّل في الطّرح الرّساليّ هو إرجاع الإنسان إلى المسار الصّحيح عن طريق الفطرة السّليمة، جاء الدور الثّاني المكمّل والمتمّم والخاتم ألا وهو إرجاع الإنسان إلى المسار الصّحيح بواسطة الشّريعة.

---

١ - محمد بن علي بن بابويه القمي: التّوحيد، ص٢٤٩.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص١٦٨.

وكِلا الدورين هو من مختصّات الأنبياء والمرسلين ﷺ، لكن في باب التّطبيق العمليّ يكون الأوّل للإنسان مع نفسه، والثّاني يبقى من مختصّات الأنبياء والمرسلين ﷺ؛ إذ لا يمكن فهم ولا تطبيق الشّريعة إلاّ من قبل المشرع والدّاعي لها.

ثانيًا: أسلوب الدّعوة الإصلاحيّة:

كان أسلوب الدّعوة الرّساليّة الإصلاحيّ يتميّز بخاصّيتين مهمّتين هما:

١- الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- الشّموليّة والمساواة في الخطاب الإرشاديّ والإصلاحيّ.

أما (النّبيّ محمّد) ﷺ فقد واجه في سبيل نشر الدين الإسلاميّ صراعًا مريرًا حتّى قال ﷺ: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[1].

يقول أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) ﷺ عن سبب بعثة (النّبيّ محمّد) ﷺ: "إنّ اللّه بعث محمّدًا ﷺ نذيرًا للعالمين، وأمينًا على التّنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيّات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطّعون أرحامكم، الأصنام فيكم

١ - الشّيخ المفيد: الاختصاص، ص١١٢.

منصوبة، والآثام بكم معصوبة"[١].

وقد واجه صلى الله عليه وآله معارضة قويّة في سبيل نشر دعوته الإلهيّة المباركة، فاتّهموه بالسّحر والجنون، وحاربوه أشدّ محاربة، وعاملوه أقسى تعامل؛ وذلك كلّه خوفًا على مصالحهم، وعصبيّة، وجهلاً، وعنادًا، لكنّ اللّه -تعالى- أظهر دينه على الدّين كلّه ولو كره الكافرون.

ولا بدّ أنْ نعلم أنّ الأكثريّة المشركة هي التي وقفت في وجه الأقليّة المؤمنة بالنّبيّ صلى الله عليه وآله والدّين الإسلاميّ، ولا بدّ أنْ نعلم -أيضًا- أنّ هذه الأكثريّة المُشركة منظّمة ولها قيادة مركزيّة، ولها نفوذ، ومال، وخطط، وجيوش سواء في مكة أم المدينة أم في أي مكان آخر.

فالمسلمون بعد أنْ كانوا أقلّيّة في مكّة، فإنّ عددهم في المدينة لم يتجاوز السّبعمئة شخص[٢]، وسط الأكثريّة من المشركين واليهود.

ومع قلّة هذا العدد من المسلمين، فلا بدّ أنْ نعلم أنّ فيهم عددًا لا يُستهان به من المنافقين لكي يكون الفرق جليًّا وواضحًا ما بين الأقليّة القليلة جدًّا من المؤمنين، والأكثريّة السّاحقة من المشركين المتربّصين سوءًا بالإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله.

لقد تمكّنت الأقلّيّة المؤمنة بقيادة الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله من هزيمة

---

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٩.

٢ - محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٤١، ص٢٣.

الأكثريّة المشركة عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وحتى اجتماعيًّا.

وكان القائد لكلّ تلك الأكثريّة المتنوّعة هي الزّعامة من قريش، فهي التي قادت الأكثريّة السّاحقة من العرب والموالي واليهود في الحرب ضدّ الإسلام، وكانت هذه الزّعامة مصرّة على الاستمرار في حرب النّبيّ ﷺ والإسلام حتّى الأبد، وقد تفاجأت تلك الأكثريّة من النّصر السّاحق للنّبيّ ﷺ وفتحه لعاصمتها ودخولها (مكّة)، فما كان من هذه الزّعامة وشراذمها إلا إظهار الإسلام كرهًا وخوفًا، فظلّ المجتمع المسلم، على ما هو عليه، مكوّنًا من أقليّة مؤمنة، وأكثريّة مستسلمة وليست مسلمة.

ليصبح (أبو سفيان) الكافر بالأمس، مسلمًا اليوم حاله حالَ (عمّار بن ياسر) مثلاً، بل لترجع الأمور إلى سابق عهدها من تفوّق زعامة قريش على الأقليّة المؤمنة، وذلك بعد وفاة النّبيّ الأكرم ﷺ.

إنّ مسيرة (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام الإصلاحيّة لن تختلف عن مسيرة الأنبياء عليهم السلام، ولن تختلف عن مسيرة جدّه المصطفى ﷺ، التي لاقى إثرها الويلات والآهات، وانعكست على أهل بيته الأقربين من بعده.

لقد سار (الإمام الحسن) عليه السلام في مشروعه الإصلاحيّ بما يضمن النّجاة للأمّة، وإنْ تسبّب ذلك بالأذى له، فهدفه أسمى من أن يتحدّد في هدفٍ شخصيّ، أو فئويّ، أو قبليّ مطلقًا.

لقد سعى جاهدًا إلى استنقاذ الأمّة، وإلى تثقيفها وتوعيتها بالمخاطر

التي تحيط بها، وإلى المشاريع الهدّامة التي حيكت لها، وظلّ على هذا المنوال إلى أنْ لقي ربّه مسمومًا مظلومًا في سبيل مشروع الهداية ورسالة الإصلاح.

فصحَّ أنْ يكون مشروعًا إصلاحيًّا مريرًا بحقّ، وأنْ يتّسم بالصّعوبة، ويحتاج إلى تحمّل وصبر ومطاولة لا يتحمّلها إلا نبيّ مرسل أو وصيّ نبيّ.

الفصل الرّابع:
الإمام (الحسن المجتبى) عليه السلام
في مؤلّفات المُستشرِقين ودراساتهم

تمهيد:

لقد تناول المُستشرِقون حياة (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام وفق مناهج لا تخلو من الملاحظات، ولا تبتعد عن الأخطاء، ولا تخرج عن إطار أيديولوجيّ معيّن.

فقد اعتمد هؤلاء على التّراث الحديثيّ السّنّي فقط، وعلى أفكار مُستشرِقين سابقين، يكنُّون العداء للإسلام، وعلى تصوّرات تخلو من القدسيّة في التّعامل مع شخص معصوم كـ (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام.

فلقد «ألقى الباحثون المُستشرِقون اللاّئمة على (الإمام الحسن) عليه السلام؛ لأنّه صالح وتنازل عن الحكم لخصمه (معاوية) بشروط، لم يفِ له بشيء منها، وقد وصفوه بأنّه لم يكن رجل السّاعة المطلوب، ولم

يكن ابنًا جديرًا لـ (عليّ) عليه السلام، وأنّه كان شخصيّة متخاذلة، انصرف إلى ملذّاته وشهواته)[١].

لقد توالت افتراءات المُستشرِقين على (الإمام الحسن) عليه السلام باتّهامات ساقوها من هنا وهناك، ساعدهم على ذلك ما في بعض الكتب الحديثيّة من افتراءات وادّعاءات باطلة تبنّاها أمثال: (المدائنيّ) (ت٢٢٥هـ)، و(أبو طالب المكيّ) (ت٣٨٦هـ)[٢]، و(الشّبلنجي) (ت١٢٩١هـ)[٣] وغيرهم.

نعم، لقد "استند الباحثون المُستشرِقون في تكوين هذه الرّؤية السّلبيّة عن الحسن عليه السلام إلى روايات، أوردتها مصادر تاريخيّة إسلاميّة، مثل: الطّبقات الكبرى لـ (ابن سعد) (٢٣٠هـ)، وتاريخ الطّبريّ (٣١٠هـ)، وأغاني أبي الفرج الاصبهاني، وتاريخ محمد بن طاهر المقدسيّ (٥٠٧هـ)، وتاريخ دمشق لـ (ابن عساكر)، والبداية والنّهاية لـ (ابن كثير)"[٤].

هناك جملة من المُستشرِقين ساقوا الافتراءات من أجل النّيل

---

١ - سامي البدري: الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، ص٤٦.
٢ - في كتابه: قوت القلوب.
٣ - في كتابه: نور الأبصار.
٤ - سامي البدري: الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، ص٥٠.

والانتقاص من شخصيّة (الإمام الحسن) عليه السلام، فأخذوا بكلّ ما وقع في أيديهم من أخبار ضعيفة ومكذوبات في سبيل التّقليل من مقام (الإمام الحسن) عليه السلام، حتّى وصل الحال إلى اختلاق الأكاذيب عن شخصيّته وأخلاقه وسيرته ومواقفه وتراثه، بدءًا من حياته وهو شابّ، مرورًا بحياته مع أبيه، ثمّ قضيّة الهدنة والصّلح مع (معاوية)، وما تلاها حتى استشهاده عليه السلام.

● المبحث الأول: أسس الشّبهات التي أُثيرت عن (الإمام الحسن) عليه السلام ومنطلقاتها:

إنّ الشّبهات والشّائعات التي أُثيرت عن (الإمام الحسن) عليه السلام كان لها أُسس ومنطلقات، وكان لها شخوص ومؤسّسات داعمة.

لقد انطلق المُستشرِقون في افترائهم على (الإمام الحسن) عليه السلام من جملة روايات، وجدوها في بعض التّراث السّنّيّ، وبعض التّراث المحسوب على الشّيعة.

فإذا ما أردنا حصر الشّبهات التي أُثيرت عن (الإمام الحسن) عليه السلام، والتي أوردتها الكتب، وروّج لها المُستشرِقون، يمكننا حصرها في ستّ، هي:

١. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام كان مزواجًا، ومطلاقًا.

٢. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام وجد (معاوية) أهلاً للخلافة، لذا صالحه وسلّمه الخلافة.
٣. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام كان يكره الجهاد والحرب.
٤. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام قد أذلّ المؤمنين.
٥. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام كان كثير المخالفة لأبيه.
٦. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام كان مهتمًّا بالدنيا والمال والملذّات.

في الصّفحات القادمة، سوف نفنّد هذه الشّبهات، وذلك من خلال التّطرّق لأقوال ومدّعيات المُستشرِقين، للوقوف عندها، ومن ثَمَّ ردّها بالحجج والبراهين، وتبيين مدى وهنها وضعفها.

أوّلًا: الإشاعات والتّهم الموجودة في بعض المرويّات الحديثيّة:

لو تصفّحنا عدد الرّوايات التي اتّهمت (الإمام الحسن) عليه السلام بشتّى التّهم، فإنّنا سنجد خمس عشرة رواية في التّراث السّنّيّ، ترمي (الإمام الحسن) عليه السلام بالتّهم الشّائعة، وقد وردت، وتوزّعت وأُعيدت، وكُرّرت في مصادر عدّة منها:

١. الطّبقات لـ (ابن سعد) (٢٣٠هـ)[1].

---

١ - محمد بن سعد صاحب الطّبقات الكبرى. كان كاتباً عند الواقدي، أخذ عنه أكاذيبه ضد (الإمام الحسن) عليه السلام.

٢. البدء والتّاريخ لـ (المقدسي) (٣٥٥هـ).
٣. الأغانيّ لـ (أبي الفرج الأصفهانيّ) (٣٥٦هـ).
٤. قوت القلوب لـ (أبي طالب المكيّ) (٣٨٦هـ).
٥. تاريخ مدينة دمشق لـ (ابن عساكر) (ت ٥٧١ هـ).
٦. تهذيب الكمال لـ (المزي) (٧٤٢هـ).
٧. سِير أعلام النّبلاء لـ (الذهبي) (٧٤٨هـ).
٨. البداية والنّهاية لـ (ابن كثير) (٧٧٤ هـ).
٩. تهذيب التّهذيب لـ (ابن حجر العسقلانيّ) (٨٥٢هـ).
١٠. نور الأبصار لـ (الشّبلنجي) (١٢٩١هـ).

وفي المحصّلة العامّة للروايات الخمس عشرة، فإنّ سند جميعها ضعيف لوجود كذّابين ووضّاعين فيها، من أمثال: (محمّد بن عمر الواقديّ)[1]، و(أبي القاسم علـيّ بن إبراهيم)، و(جرير بن حازم)، و(سحيم بن حفص الأنصاريّ)، و(الوضّاح اليشكريّ)، و(إسرائيل بن يونس)، و(محمّد بن المهلّب الحراني)، و(قيس بن الرّبيع)،

١ - كان محمد بن عمر الواقدي قاضياً لأبي جعفر المنصور على الجانب الشّرقي من الرّصافة، وهو الذي وضع روايات النّيل من الإمام الحسن، بأمر من المنصور الدوانيقي، أما محمد بن سعد صاحب الطّبقات الكبرى، فكان كاتباً عند الواقدي، وقد أخذ عنه أكاذيبه حول الإمام الحسن. راجع: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥١.

و(إسماعيل بن إبراهيم بن علية البصريّ)، و(محمّد بن أبي أيّوب)، و(عبد الأعلى بن عبد الأعلى الشّاميّ البصريّ)، و(عبد اللّه بن عون)، و(محمّد بن عبيد)، و(عبد اللّه بن بكر السّهميّ)، و(جميع بن عمر).

إنّ أكثر الرّوايات التي اتّهمت (الإمام الحسن) عليه السلام قد وُضعِت في زمن العباسيّين، ذلك لما كان للحسنيّين من ثورات كثيرة ضد (بني العباس).

نعم، "لقد أنتج الاعلامان الأمويّ والعباسيّ كمّيّة هائلة من الرّوايات المكذوبة في قضيّة الصّلح، لم تتسبّب في ظلم (الإمام الحسن) عليه السلام وظلم العراقيّين فحسب، بل تسبّبت في تشويه الرّؤية الإسلاميّة الصّحيحة... وتغييب أخبار تجربة وعهد هو أروع العهود الإسلاميّة بعد عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله وعهد الإمام عليّ عليه السلام، امتاز بالأمان التّام، والحوار الصّادق، والتّعدّديّة المذهبيّة المبنيّة على القناعة، وظهور المرجعيّة الدينيّة المستقلّة عن السّلطة والمتفرّغة إلى عمل الخير وتعليم النّاس"[1].

ثانيًا: الإشاعات والتّهم الموجودة في بعض المصادر الشّيعيّة:

إنّ هناك «ستّ»[2] روايات قد وردت في جملة مصادر، نُسبت إلى

---

١ - سامي البدري: الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، ص٣٠.

٢ - وردت اثنتان منها في كتاب الكافي للكليني، واثنتان في كتاب دعائم الإسلام للقاضي النّعمان المغربي، وروايّة واحدة في مستدرك الوسائل للميرزا النّوري، وروايّة في المناقب لابن شهرآشوب.

التّراث الشّيعيّ، وردت في أماكن مختلفة، وتلقّفها من جعل منها حقيقة، لغاية محدّدة.

إنّ هذه الرّوايات احتوت على إشكالات في رواتها من أمثال: (حميد بن زياد)، و(الحسن بن محمد بن سماعة)، وغيرهما من الواقفة؛ إذ قد وردت أحاديث كثيرة في ذمّ الواقفة، بل الحكم الصّريح بكفرهم ونصبهم، وأنّهم مرتدّون عن الحقّ. وقد اشتهروا في التّراث الشّيعيّ الإماميّ بتسميتهم بـ "الكلاب الممطورة"[1]، دلالة على شدّة نجاستهم وقبح رائحتهم.

إنّ المصادر المحسوبة على التّراث الشّيعيّ، التي اعتمد عليها المُستشرِقون في جملة طعونهم على (الإمام الحسن) عليه السلام هي:

١. كتاب "روضة الشّهداء"، وهو عبارة عن كشكول كما وصفه (آقا بزرك الطّهرانيّ)، وهو ليس بالكتاب التّاريخيّ، ولا بالكتاب التّراثيّ الذي يحتوي تراث الشّيعة، ومؤلّفه ليس من أساطين مذهب التّشيع. لقد كتب هذا الكتاب لغرض القراءة على المنابر فقط، وهو باللّغة الفارسيّة، ألّفه (الحسين بن علي الكاشفي البيهقي) (٩١٠هـ).

٢. كتاب "جنّات الخلود"، وهو عبارة عن كشكول أيضًا، من

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٦٧.

تأليف (محمد رضا بن محمد مؤمن الإماميّ المدرّس) (١١٢٨هـ)، وقد صدّره المؤلّف باسم (الشّاه حسين الصّفوي) (١١٣٥هـ).

٣. كتاب خلاصة الأخبار من تأليف (محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التّنكابني) (١٢٤٣هـ)، وهو باللّغة الفارسيّة.

٤. كتاب "عقائد الشّيعة" من تأليف (ميرزا آقاسي)، وهو وزير السّلطان (محمد شاه الثّاني القاجاري) (١٢٥٠هـ).

كل هذا يبيّن لنا مدى ضعف الأخبار الطّاعنة بـ (الإمام الحسن) عليه السلام، ومدى وهن الكتب التي أوردتها، ما عدا كتاب "الكافي"، الذي صرّح أساطين المذهب بأنْ ليس كلّ ما فيه صحيحًا، ويمكن مناقشة الرّوايتين اللّتين وردتا في "الكافي"[1] وفق منهجين:

١. منهج التّقسيم الرّباعي للحديث: وحينها سيتبيّن ضعف الحديث، وأنّه من الموضوعات، بسبب الرّواة، فمنهم الواقفيّ، ومنهم الكذّاب، ومنهم المجهول.

٢. منهج الاعتبار وعدم الاعتبار: وحينها سنرفض الرّوايتين؛ لأنّهما تعرّضا لثوابت مهمّة، منها: ثابت العرض على

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٥٦.

الكتاب؛ لكون الرّوايتين تعارضان منهج القرآن، وثابت المعصوم، لكون المعصوم ليس إنسانًا عاديًّا بل هو قد اصطفي من اللّه - تعالى - وفُضل على الخلق، وسيعارض منهج وسيرة أهل البيت في كونهم القدوة والأسوة الحسنة والرّحمة للأمّة جمعاء.

لقد أوردنا ذلك، حتى يتبيّن للباحث حقيقة التّهويل التي وسمت بها هذه الرّوايات، بل إنّ من الجهل التّسليم بها، ولن يسلم بشيء منها أي باحث حقيقيّ، له حظّ من العلم.

● المبحث الثّاني: كتابات المُستشرِقين الألمان عن (الإمام الحسن) عليه السلام:

تمهيد:

سنقف في الصّفحات القادمة مع المُستشرِقين الذين كتبوا عن (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام، ونبيّن بالنّقد والتّحليل مقولاتهم كلّها، حتّى نوضّح أُسس تلك الكتابات ودوافعها، التي تطرّقنا إليها من ضمن الكتب المترجمة لهم، أمّا باقي الكتب غير المترجمة، فإنّه من المتعسّر، بل من المتعذّر الوصول إليها، أو الإحاطة بها.

وهؤلاء قد ذكرناهم، باعتبارهم تعرّضوا بالكتابة لـ (الإمام الحسن) عليه السلام، ممّا قد وقع في أيدينا من كتابات، أمّا غير المترجم، أو الذي لم يقع في أيدينا، فهو متروك للباحثين أن يستخرجوه، ويجمعوه، ويعطوه أولويّة في الكتابة، وغايتنا من ذلك أن نبيّن مدى العداء الكبير والكثير لأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

فـ «المُستشرِقون الحاقدون أنواع. منهم من كان حقده ناشئًا عن الاحتقار والرّفضَ اللّذين يزيّنهما الجهل أو يزيّنان الجهل، ومن هؤلاء (رايموند شارل)، و(كارل بروكلمان). ومنهم من كان حقده زعافًا، ولكنّه خفّف حديّته بدراسات فيها شيء من الجدّيّة، ومن هؤلاء (غوستاف فون غرونباوم). وقد نال الأب (لامنس) قصب السّبق في الحقد على كلّ شيء يشمّ منه رائحة الإسلام، ويظهر ذلك في عاطفته ومناهجه وأسلوبه وغرضه من كتاباته، ويقاربه في كل هذه المظاهر المُستشرِق الفرنسي المعاصر (أندريه ميكال)»[1].

سوف نمرّ في هذا الكتاب، على مقولات لجملة من المُستشرِقين، ممّن كتب عن (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام، وتميّز بالكتابات النّاقدة، أو المنساقة مع طرح السّلطة المعادية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، التي كُتبت وأُمر كُتّابها أنْ ينالوا منهم بشتّى الوسائل.

---

١ - لخضر شايب: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٢٥٩.

أوّلا: المُستشرِق الألماني (يوليوس فلهاوزن):

يُعدّ (يوليوس فلهاوزن- Julius Wellhausen)[١]، من المُستشرِقين الألمان المشهورين الذين تخرّجوا في جامعة غوتنغن (Göttingen) في قسم اللّغات الشّرقيّة. كان (فلهاوزن) على اتّصال دائم بالتّاريخ الإسلاميّ، فترجم قسمًا من كتاب "المغازي" إلى اللّغة الألمانيّة، وقد نشرت التّرجمة في برلين عام ١٨٨٢م [٢]، وألّف كتابًا آخر هو: "المقدّمة في التّاريخ الإسلاميّ"، ثمّ قام بتصحيح كتاب "تاريخ الطّبريّ" عام ١٨٨٧م، أمّا في ما يتعلّق بدراسته التي أورد فيها ذكر (الإمام الحسن بن علي)عليه السلام، فهي:

- "الخوارج والشّيعة"، نشر عام ١٩٠١م.

- "الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة"، وقد نُشر في برلين عام ١٩٠٢م، وقد ترجم (غراهام- Graham) هذا الكتاب إلى الإنكليزيّة، ونُشر بعنوان "مملكة العرب وسقوطها"، كما تُرجِم هذا الكتاب مرّتين إلى اللّغة العربيّة، فكانت التّرجمة الأولى لـ (يوسف العش) الذي نقله من اللّغة الإنكليزيّة ونُشر في دمشق عام ١٩٥٦م، فيما كانت التّرجمة الثّانية لـ (محمد عبد الهادي أبو ريده) عن النّصين الألماني والإنكليزي،

---

١ - يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤ ـ ١٩١٨م).

٢ - عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرِقين، ص٤٠٨.

ونُشر في القاهرة عام ١٩٥٧م.

لقد كان (يوليوس فلهاوزن) أوّل المُستشرِقين استفادةً من تاريخ الطّبريّ الذي كان يشرف على نشره (دي خويه) في ليدن[١]، ومن خلال هذه الاستفادة ألّف (فلهاوزن) الكتب التي تناولت التّاريخ الإسلاميّ.

لقد أرجع أحد الباحثين مواقف بعض المُستشرِقين -عندما يركّزون على مفهوم إسلاميّ ما، أو على شخصيّة إسلاميّة معيّنة- إلى الجدل وحده، ولو أضفوا عليه صفة العلميّة بزعمهم[٢].

وهذا يدعو إلى التّركيز والحذر عند الأخذ أو النّقل عن المُستشرِقين؛ ذلك أن بعض الأطروحات قد تكون مؤدلجة لغاية تخريبيّة أو ما شاكلها.

يقول (يوليوس فلهاوزن) عن (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام: (وأحسّ... (الحسن) أنه أضعف مما يقتضيه منه الموقف، فباع حقّه في الخلافة لمعاوية، وتمكّن معاوية من دخول الكوفة، واضطرّ أهل العراق إلى أن يبايعوه، وانتهت بذلك الحرب الأهليّة)[٣].

وفي مقام الرّد على هذه المقولة، نقول:

- إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام بصفته إمامًا وخليفة كان يتّصف بأعلى

---

١ - موسوعة المُستشرِقين، عبد الرّحمن بدوي: ٤٠٩.

٢ - محمد البشير: مَناهج البحث في الإسلاميات لدى المُستشرِقين وعلماء الغرب، ص٢٨٦.

٣ - يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربيّة، ص٥٧.

درجات الشّجاعة، وكان لا يتردّد في قول الحقّ وفي فعل الحقِّ، ولا تأخذه في الحقِّ لومة لائم. فقد رُوي أنّ (معاوية) سأل (الإمام الحسن) عليه السلام بعد الصّلح أن يخطب في النّاس فامتنع، فناشده أنْ يفعل، فوضع له كرسيًّا، فجلس عليه، ثمّ قال: «وأيم اللّه، لا ترى أمّة محمّد خفضًا ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أميّة، ولقد وجّه اللّه إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا؛ لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند اللّه أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم»[1].

وفي ردٍّ له على (معاوية) قال عليه السلام: «هيهات لشرّ ما علوت به يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان، بين مطيع ومكره، فالطّائع لك عاص للّه، والمكره معذور بكتاب اللّه، وحاشا للّه أنْ أقول، أنا خير منك؛ لأنّك لا خير فيك، فإنّ اللّه قد برّأني من الرّذائل كما برّأك من الفضائل»[2].

ويشترط أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام شرط الشّجاعة في الإمام، ويعلّل ذلك بقوله: "وإذا لم يكن أشجع النّاس سقط فرض إمامته؛ لأنّه في الحرب فئةٌ للمسلمين، فلو فرّ لدخل في

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٨.
٢ - باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي، ج٢، ص٣٠٦.

من قال اللّه تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ...**﴾[1].

أمّا عن شرط كونه أشجع النّاس فيقول أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام: "لأنّه لا يصحّ أن ينهزم، فيبوء بغضب من اللّه تعالى، وهذه لا تصحّ أنْ تكون صفة الإمام".

هذه وغيرها من الأدلّة والرّوايات، تدلّ على شجاعة الإمام المعصوم عمومًا، وشجاعة (الإمام الحسن) عليه السلام بشكل خاصّ.

■ لم يبع (الإمام الحسن) عليه السلام حقّه؛ ذلك أنّ الإمامة منصب إلهيّ، أمّا دكّة الحكم فإنْ اعتلاها أو لم يعتلها، فلن يؤثّر ذلك في كونه إمامًا مُنصَّبًا من اللّه تعالى. فكيف له أنْ يبيع شيئًا هو لله تعالى؟ وكيف يكون إمامًا وهو يبيع ويشتري لأجل مصالحه؟

تلك تساؤلات مشروعة كلّها، فعلى من يتبنّى طروحات (فلهاوزن) أن يجيب عنها. لكن كيف يجيب عنها من لا يعرف حقيقة الإمامة الإلهيّة؟ وكيف يجيب عنها من لا يؤمن بالمقدّس؟ وكيف يجيب عنها من لا يملك ذوق فهم الإسلام وكتابه وبعثة نبيّه ومسألة الإمامة

---

١ - الشّريف المرتضى: رسالة المحكم والمتشابه، ص١١٢ ـ ١١٤.

والعصمة؟ وكيف يجيب عنها من لا يعرف معنى الاصطفاء الإلهيّ؟

أما بخصوص الأموال التي ذُكرت في بنود الهدنة والصّلح، فهي أموال المسلمين، أراد (الإمام الحسن) عليه السلام المحافظة عليها، كي لا يمنعها عنهم (معاوية)، ولكيلا يستأثر بها هو وآل أميّة، فكان أنْ اشترط ذلك عليه حفاظًا على معيشة المسلمين، وبالخصوص من كان يُعرف بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

نعم، لقد أدرج (الإمام الحسن) عليه السلام بعض البنود الماليّة في وثيقة الهدنة مع (معاوية بن أبي سفيان)، فشرط على (معاوية) تعويض عوائل شهداء حرب صفّين والجمل بمبلغ مليون درهم، وأنْ يفضّل (بني هاشم) في العطاء والصّلات على بني (عبد شمس)، ويستثني بيت مال الكوفة فهو تحت تصرّفه، وأنْ يُعطي أخاه الإمام الحسين عليه السلام كل عامّ مليوني درهم، ويجعل له خراجَ دار أبجرد في ولاية فارس، وألّا يمنع أحدًا من شيعة (عليّ) عليه السلام عطاءه[1].

■ أمّا تصويره للحرب التي دارت ما بين (الإمام الحسن) عليه السلام، وبين (معاوية بن أبي سفيان) بالحرب الأهليّة، فإنّ هذا منتهى الشّطط، والخلط، والتّجنّي.

---

١ - الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٥؛ أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٢.

إنّها حرب ما بين فئتين، وجانبين مختلفين، وبين مكانين، ودولتين. إنّها حرب بين فئة مسلمة وأخرى متأسلمة، وما بين الإيمان والكفر، وما بين الجزيرة وتوابعها والشّام وتوابعها، وحرب ما بين دولة الرّسول صلى الله عليه وآله ودولة بني أميّة. فكيف تسمى بالحرب الأهليّة يا ترى؟ وما الحرب الأهليّة أساسًا؟

إنّ الحرب الأهليّة هي حرب داخليّة في بلدٍ ما، تكون أطرافها جماعات مختلفة من السّكان في ذلك البلد.

فكيف تُسمّى حرب (الإمام الحسن) عليه السلام، مع (معاوية بن أبي سفيان) حربًا أهليّة، ولو تنزّلنا فإنّ حرب (معاوية) ستُسمّى حربًا على المتآمرين على الدولة الإسلاميّة؛ لأنّه اغتصب الشّام من البلاد الإسلاميّة، وتمرّد على سلطة الحاكم فيها، وأراد اقتطاع ما في يده ليدافع عنه بكلّ وسيلة، جامعًا معه مرتزِقةً وشذّاذ آفاق، ليكونوا له عونًا في ذلك، وقد وصفهم هو بقوله: لا يفرّقون ما بين النّاقة والجمل.

فكيف يُسمّي (فلهاوزن) هذه الحرب بالأهليّة؟ ولماذا لم يسمّ حروبًا دارت داخل أوروبا بالأهليّة؟ أم هل يصحّ لنا أن نسمّي الحرب العالميّة الأولى والثّانية بالأهليّة؟

ومن المؤكّد أنّ هذا المصطلح الفضفاض الذي أطلقه (فلهاوزن) كان له أبعاده، وكانت له غاياته التي أدرج من أجلها ولأجلها، ويبقى الكلام هو الكلام، بأنّ الحرب ما بين (الإمام الحسن) عليه السلام و(معاوية) هي حرب ما بين الحقّ والباطل، بغض النّظر عن المسمّيّات.

ثانيًا: المُستشرق الألمانيّ (كارل بروكلمان):

المُستشرق الألَمانيّ (كارل بروكلمان)[١]، هو صاحب كتاب "تاريخ الشّعوب الإسلاميّة"، والذي يعدّ من الكتب التّاريخيّة التي تتناول الشّعوب الإسلاميّة، وتاريخها، وأهمّ الأحداث، وأبرز الانعطافات التّاريخيّة.

يرى (بروكلمان) «أنّ الحسن لم يكن رجل السّاعة الذي تحتاجه الدولة، فقد رفض أن يقود جنده في هجوم على خصمه»[٢].

وفي مقام الرّدّ على هذه المقولة نقول:

١. كيف لا يكون رجل السّاعة وهو الخليفة الشّرعيّ من بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، والذي آلت إليه الخلافة؟ وكيف لا؟ وهو الذي اجتمعت الأمّة على بيعته إلّا منطقة الشّام؟ وكيف لا؟ وهو لو رفض الهدنة والصّلح مع (معاوية) لما جرى ذلك أبدًا؟ وكيف لا؟ وهو الذي حافظ على دماء المسلمين وكراماتهم ومقدراتهم. كان (الإمام الحسن) عليه السلام عازمًا على الحرب مع (معاوية)، ولكن التّخاذل كان في جيشه، وعند أكثر أتباعه، فهم من تخاذل، وهم من صاح بضرورة الصّلح مع (معاوية)، فكيف يرمى بذلك (الإمام الحسن) عليه السلام،

---

١ - كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م).

٢ - كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، ص٢٠٤.

فيما الحقيقة أن الأمّة تخاذلت وقبلت الصّلح والرّضوخ لـ (معاوية).

٢. يقول الكاتب الفلسطينيّ (شوقي أبو خليل) عن منهج (كارل بروكلمان) موضّحًا طريقته وأسلوبه في الكتابة عن التّاريخ وعن موضوع الأدب العربيّ: «فكيف ببروكلمان، وقد كتب تاريخنا منطلقًا من التّشكيك، والرّفض العشوائيّ، معتمدًا على الرّوايات الضّعيفة الشّاذّة، التي رفضها النّقاد الباحثون، واستغربها العلماء المطّلعون، بل أشاروا إلى نشوزها، لكن بروكلمان -كغيره من المُستشرِقين الذين قدّموا ما يرضي رجال الكنيسة ولم يكتبوا حقائق تثيرهم- بنى فكره ورأيه مسبقًا في نفسه، ثمّ جاء إلى وقائع التّاريخ العربيّ الإسلاميّ يطوّعها لما يؤيّد فكرته وخطّته المرسومة، يطمس، ويضعف، ويمرض ما دون ذلك، فقدّم بروكلمان تاريخنا، موسِّعًا الجزئيّة، متغاضيًا عن الكليّة، مع تفسيرات عجيبة، ومواقف غريبة، وأقوال ينبو عنها الذوق السّليم، والفكر الموضوعيّ، لا العميق والشّامل، بل حتى غير العميق، وغير الشّامل»[1].

١ - شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، ص١١ـ ١٢.

ثالثًا: المُستشرِق الألماني (هاينس هالم-Heinz Halm)

ألّف المُستشرِقَ الألماني (هاينس هالم)، كتابًا تحت عنوان «الشّيعة»، طُبع سنة ١٩٨٨م. قامت دار الورّاق بطباعته سنة ٢٠١١م ترجمة (محمود كبيبو). و(هاينس هالم) هو مُستشرِق ألماني وُلد عام ١٩٤٢م ودرس العلوم الإسلاميّة، والسّاميّة، وتاريخ العصور الوسطى. يعمل حاليًّا أستاذًا لمادّة التّاريخ الإسلاميّ في جامعة توبنغن (Tübingen) الألمانيّة.

يقول (هاينس هالم) عن (الإمام الحسن)عليه السلام: (جرت مفاوضات في المدائن الواقعة على نهر دجلة، انتهت بتنازل (الحسن) عن الخلافة. وممّا سهّل على حفيد النّبيّ اتخاذ هذا القرار منحه مبالغ كبيرة من المال، مضافًا إلى عائدات الخراج لمنطقة إيرانيّة كاملة)[١].

والرّد على ذلك - بوجه العموم - قد تقدّم، كون مصدر (هاينس هالم) لا يختلف عن غيره من المُستشرِقين، فالشّبه أصله واحد، والتّبني واحد، والهدف من وراء ذلك واحد.

ويقول في موضع آخر: (والشّيء الوحيد الجدير بالملاحظة الذي ترويه عنه المصادر التّاريخيّة أنّه كان كثير الزّواج، وأنّه خلف عددًا كبيرًا من الأولاد)[٢].

---

١ - هاينس هالم: الشّيعة، ص٢٧ـ ٢٨.

٢ - هاينس هالم: الشّيعة، ص٢٨.

وفي مقام الرّد نقول:

١. عن عدد أولاد (الإمام الحسن) عليه السلام: لو تصفّحنا كتب التّاريخ المعتبرة، ومقولات العلماء عن عدد أولاد (الإمام الحسن) عليه السلام سيتبيّن لنا أنها ثلاثة آراء مشهورة، قد قال بها كبار علماء الشّيعة الإماميّة، وهي:

أ. قال (ابن شهر آشوب): أولاد (الإمام الحسن) عليه السلام ثلاثة عشر ذكرًا وابنة واحدة[١].

ب. قال (الشّيخ المفيد): أولاد (الإمام الحسن) (ع) خمسة عشر ولدًا وأنثى[٢].

ج. قال (الشّيخ الطّبرسيّ): أولاد الإمام الحسن(ع) ستة عشر ولدًا وليسوا خمسة عشر[٣]. أما الرّوايات الأخرى، فإمّا هي من المكذوبات التي أشرنا لها في بداية البحث، أو هي من وضع من حسب على مذهب التّشيع.

٢. لقد كتب (هاينس هالم) كتابًا آخر هو: "الغنّوصيّة في الإسلام"، اتّهم فيه طوائف إسلاميّة كثيرة بالغنّوصيّة، ومنهم الشّيعة،

---

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

٢ - الشّيخ المفيد: الإرشاد، ج٢، ص٢٠.

٣ - الفضل بن الحسن الطّبرسي: إعلامُ الوَرى بأعلامِ الهدى، ج١، ص٤١٦.

بل قال بأن "الغنّوص الإسلاميّ هو ظاهرة شيعيّة"[١]. وهذا الكتاب يُعدّ من الكتب المتحاملة على الإسلام وعلى الشّيعة خصوصًا، ومن العجيب أن نجد (هاينس هالم) يقول فيه: "بقيت الكتب التّفنيديّة للشيعة المعتدلين لأمدٍ طويل مصادرنا الوحيدة التي نرجع إليها في دراسة تاريخ الغلوّ"[٢]، لكنّه لم يخبرنا بأسماء تلك الكتب التّفنيديّة بحسب قوله مطلقًا!

رابعًا: المُستشرِق الألماني (غرهارد كونسلمان- Gerhard Konzelman):

المُستشرِق الألماني (غرهارد كونسلمان)[٣]، هو صاحب كتاب "سطوع نَجم الشّيعة"، الذي تناول فيه جملة من الوقفات في تاريخ التّشيّع.

يقول (غرهارد كونسلمان): "لقد باع (الحسن) المنصب الذي تركه (محمّد) لنسله من أجل المال... ويقال إنّه مات بالسّل، وقد حاولت شيعة (عليّ) في القرون اللّاحقة تجميل صورة هذا الزّعيم الضّعيف التّعس، فقد اجتهدت في جعل (الحسن) ضمن شهداء

١ - هاينس هالم: الغنوصيّة في الإسلام، ص١٨.
٢ - هاينس هالم: الغنوصيّة في الإسلام، ص٢١.
٣ - غرهارد كونسلمان (معاصر).

المذهب الشّيعيّ، فنشأت لذلك رواية تقول، إن (الحسن) قتل بتدبير (معاوية)... ولكنّ من المستبعد أنْ يكون (معاوية) ضالعًا في موت (الحسن)، فمثل هذه الجريمة غير الضّروريّة لن يقدم عليها الخليفة المدرك تمامًا أين الرّجل المهمّ وأين الرّجل الذي صار في الظلّ"[1].

وفي مقام الرّدّ على ذلك نقول:

١. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام لم يبع منصبه مطلقًا، ولا يحقّ له أنْ يفعل ذلك، وليس من حقّه، كون منصب الإمامة منصبًا إلهيًّا، أي من اللّه تعالى، أمّا عن كرسيّ الحكم فذلك أمر يسهل النّقاش فيه، ومما سهل الخلط على أمثال (كونسلمان) هو تداخل منصب الإمامة عند الشّيعة مع غيرهم من باقي المذاهب، وشرطيّة القيادة والحكم الفعليّ، ولا نلوم أمثال (كونسلمان) وهو بعيد كلّ البعد عن حقيقة التّراث الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، وعن حقيقة التّراث الشّيعيّ بشكلٍ خاصّ.

٢. إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام مات بالسّمّ وليس بالسّلّ، وهذا قد وضّحناه مسبقًا، فلا يستغلّ (كونسلمان) سقطات الحروف

---

١ - غرهارد كونسلمان: سطوع نجم الشّيعة، ص١١٣.

ليجعل منها حقيقة، بل الحقيقة أنّه كان مخطًّا بالنّقل، ولربّما متعمّدًا في نقل ذلك.

٣. لا يحتاج (الإمام الحسن) عليه السلام لتجميل صورته من أيّ أحد، بل إنّ اللّه تعالى قد أعطاه منزلته، وهو الأقدر - تعالى - على حفظها له. إنّ البناء الفكريّ عن الشّيعة والتّشيّع بالنّسبة للغرب قد بنته أفكار المُستشرِقين المتأثّرة بالسّياسة وأفكار العصور الوسطى والحروب الصّليبيّة، والرّوايات الموضوعة من قبل وُعّاظ السّلاطين وأعداء الشّيعة[1].

يقول الدكتور (عبد الجبّار ناجي): "إنّ كثيراً من المُستشرِقين عند الكتابة في ميادين من التّاريخ الإسلاميّ ولا سيّما بالنّسبة إلى الجيل الأوّل منهم يصرّون - بسبب سيادة الرّواية الأمويّة والعباسيّة - على إقصاء عقيدة التّشيع، أو إقصاء الحركات الشّيعيّة من أحداث التّاريخ الإسلاميّ... ولهذا تَصوّر، لا بل تيّقن عدد من المُستشرِقين القدامى أن حركة التّشيّع ما هي إلا حركة منعزلة، وذات تأثير ضئيل في التّاريخ الإسلاميّ"[2].

---

١ - جاءت أكثر أفكار الغرب عن الإسلام من الفكر السّني الذي ترجمه المُستشرقون بكل سلبياته، ولم يكلفوا أنفسهم البحث والتّنقيب بأمانة وموضوعيّة، وهنا حكَم الكاتب على الشّيعة بلسان السّنة.

٢ - عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص١٥ـ١٦ .

وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس هنالك أي دراسة ممنهجة وحياديّة عن الشّيعة لدى الغرب، ولم يترجم أي كتاب شيعيّ حقيقيّ ومنصف للّغات الغربيّة، وهذا ما صرّح به أكثر من كاتب غربيّ.

٤. ليس الإمام (الحسن المجتبى) عليه السلام ضعيفًا مطلقًا، لأنّ ذلك يتنافى مع شروط الإمامة الحقيقيّة الإلهيّة.

٥. إنّ الأدلّة التّاريخيّة الموثّقة والمتكثّرة تشير إلى دور (معاوية بن أبي سفيان) في اغتيال (الإمام الحسن) عليه السلام.

٦. إنّ مدح (كونسلمان) لـ (معاوية) تكمن من ورائه أمور كثيرة، منها إثارة الشّحناء والبغضاء، وهي تذكرنا بحادثة ذكرها (الشّيخ محمود أبو ريّة) في كتابه "شيخ المضيرة"، ونصّها: "قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين - وفيهم أحد شرفاء مكّة -: إنّه ينبغي لنا أن نُقيم تمثالًا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين. فقال له: لماذا؟ قال: لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلاميّ عن قاعدته الديمقراطيّة إلى عصبيّة، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كله. إذًا لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عربًا مسلمين"[1].

---

١ - محمود أبو ريّة: شيخ المضيرة، ص١٨٥.

● المبحث الثّالثّ: كتابات المُستشرِقين الإنكليز عن (الإمام الحسن) عليه السلام:

أولاً: المُستشرق الإنكليزي (برسي سايكس- Percy Sykes):

إن للمُستشرِق الإنكليزي (برسي سايكس)[1] عددًا من الكتب والمؤلّفات، منها: كتاب "تاريخ إيران"، أو "بلاد فارس" (جزآن) صدر عام ١٩١٥م.

يرى برسي سايكس "أنّ (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام غير جدير بأنْ يكون ابنًا لـ (عليّ)؛ لأنّه شغل بملذّاته بين نسائه، واكتفى بإرسال اثني عشر ألف جنديّ طليعة لجيشه، بينما احتفظ بقلب الجيش في المدائن؛ حيث ظلّ يتنزّه في الحدائق، وخاف أن يجرّب حظّه في ميدان القتال"[2].

وفي مقام الرّد على هذا الادّعاء نقول:

١. من أين جاء (سايكس) بهذا الكلام؟ أليس من الأجدر به أن يتحقّق من النّصوص؟ أليس خليقًا به أنْ يتتبّع الرّوايات ليعرف هل هي صحيحة أو موضوعة؟

إنّ الانشغال بالملذّات ليس من شأن الإمام المعصوم، ولقد وضّحت

---

١ - برسي سايكس (١٨٦٧ ـ ١٩٤٥م).

٢ - تاريخ بلاد فارس، برسي سايكس، نقلاً عن علي حسني الخربوطلي: العراق في ظل الحكم الأموي، ص٤٧.

النّصوص وبالخصوص نصوص أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عليه السلام - التي أوردناها سلفًا - شروط الإمام المستحقّ للإمامة وصفاته، وهذه الشّروط لم تغادر أو تتخلّف عن (الإمام الحسن) عليه السلام مطلقًا.

إنّ ما قاله (سايكس) هو محض افتراء، ولا أساس له من الصّحة، ولا يصمد أمام نصوص كثيرة جدًّا، تُبيّن مكانة (الإمام الحسن) عليه السلام وتمدحه، وتتبرّك بذكره.

٢. أيّ حدائق تلك التي كان يتنزّه بها؟ وفي أي مصدرٍ ذُكر هذا الكلام؟

إنّ استناد (سايكس) إلى كلام من وحي خياله، يستحقّ عليه - مع التّعمّد - أن يوصف بـ (سايكس) الكذّاب. أمّا أنْ يعتمد على النّصوص الموضوعة في ذمّ (الإمام الحسن) عليه السلام، ويعتمد على نصوص من سبقه من المُستشرقين، فذلك ليس بالأسلوب العلميّ، وكلامه مردود، ولا يصمد أمام أدلّة كثيرة جدًّا.

٣. أيّ حظٍّ يقصد (برسي سايكس)؟ أيقصد الحظّ المتداول عرفيًّا عند النّاس والشّعوب، أم الحظّ الذي بمعنى النّصيب، أم الحظّ الذي بمعنى التّقدير؟

٤. إن (الإمام الحسن) عليه السلام كان مفخرة جدّه (النّبي محمّد) صلى الله عليه وآله، الذي مدحه هو وأخاه (الإمام الحسين) عليه السلام في أكثر من حديث، وذكر أنّهما ابناه، فكيف يقول (برسي سايكس) عن (الإمام الحسن) عليه السلام بأنّه

(غير جدير بأن يكون ابنًا لعليّ)؟!

إنّ تأثّر (برسي سايكس) بالتّراث العامّ جعله ينقل منه، دون تحقيق ولا تمحيص، ويتعامل مع (الإمام الحسن) عليه السلام باعتباره شخصًا عاديًّا، وهذا لا يُستبعد عن (برسي سايكس) وأمثاله من المُستشرِقين.

ثانيًا: المُستشرِق الإنكليزي (سيمون أوكلي- Simon Ockley):

لقد وضع المُستشرِق الإنكليزي (سيمون أوكلي)[1] كتابًا بعنون "تاريخ المسلمين"، وكتابًا آخر عن "تاريخ السّراسنة".

يرى (سيمون أوكلي)، "أنّ الحسن لم يكن مؤهّلاً للموقف؛ حيث كان يميل إلى السّلم، وينظر إلى دماء المسلمين نظرة رعب، يصعب علينا تصوّرها"[2].

والقول فيه كما في الأقوال المُتقدّمة، وذلك يبيّن لنا مدى التّشابه في مقولات المُستشرِقين، التي يجمعها العداء لـ (الإمام الحسن) عليه السلام، وهنا نسجّل ملاحظات عدة:

---

١ - سيمون أوكلي (١٦٧٨- ١٧٢٠ م) قس مدينة كامبردج، درس العربيّة، أصدر في العام (١٧٠٨ م) كتابه: (غزو السّراسنة لسوريّة وفارس ومصر)، أو (تاريخ السّراسنة)، والذي بدت صورة الرّسول صلى الله عليه وآله مشوهة في كتاباته، لأنه سار على خطى (همفري بريدو) (١٦٤٨- ١٧٢٠ م) في تصويره لطبيعة الإسلام وسيرة الرّسول صلى الله عليه وآله.

٢ - سيمون أوكلي: تاريخ السّراسنة، ص٣٤٧.

١. كان (الإمام الحسن) عليه السلام مؤهّلاً للإمامة والقيادة؛ فقد اجتمعت فيه صفات الإمام المستحقّ للإمامة، أمّا الخلل فكان في جيشه، وفي الأمّة التي لم تطع كلامه، والتي ركنت إلى الدّعة.

٢. إنّ على الإمام المستحقّ للإمامة أن يحافظ على المسلمين وعلى دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وأنْ تكون الدماء والفروج أكثر الأشياء حفظًا عنده.

فهل في حفظها مثلبة تُعاب على (الإمام الحسن) عليه السلام؟ ومنذ متى كان الحفاظ على المسلمين مثلبة؟

٣. إن (الإمام الحسن) عليه السلام هو إمام معصوم مُنصّب من قبل اللّه -تعالى- على لسان (النّبيّ محمّد) صلى الله عليه وآله، وبذلك فإنّه أفضل النّاس في كل شيء، وهذا ما لا يفهمه (أوكلي) وغيره من المُستشرِقين.

٤. هل (معاوية بن أبي سفيان) هو المؤهّل؟

فأبو (معاوية) هو (أبو سفيان) صاحب العير، و جدّه أبو أمّه صاحب النّفير[١]، فهو متوغّل في حرب الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله.

لذا يقول (ابن رشد) عنه: "إنّ معاوية أقام دولة بني أميّة وسلطانها الشّديد، ففتح بذلك بابًا للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتى في بلادنا الأندلس"[٢].

---

١ - ومن هذا أخذ المثل القائل: (لا في العير ولا في النّفير) للرجل الخامل.

٢ - فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، ص٦٠.

يقول أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عليه السلام: "إنّ مثل معاوية لا يجوز أن يكون أمينًا على الدماء والأحكام والفُروج والمغانم والصّدقة.. المتّهم في نفسه ودينه، المجرّب بالخيانة للأمانة، النّاقض للسنّة، المستأصل للذمّة، التّارك للكتاب، اللّعين ابن اللّعين، لعنه رسول اللّه في عشرة مواطن، ولعن أباه وأخاه"[١].

ويذكر التّاريخ بأنّ (النّسائيّ) ذهب إلى دمشق - وهو أحد أصحاب الصّحاح السّتّة عند السّنّة - فقيل له: حدّثنا عن فضائل (معاوية)، فقال: "أما يرضى معاوية رأسًا برأس حتى يفضل، ولا أعرف له فضيلة إلّا لا أشبع اللّه بطنه. فداسوه بالأرجل، ومات بسبب ذلك)[٢].

وعن حقيقة (معاوية) يقول الجاحظ: "استبدّ معاوية بالمُلك، وخالف الشّورى، وحوّل الخلافة ملكًا كسرويًّا، وارتكب من المعاصي ما خرج به إلى الكفر. فقد قتل حجر بن عديّ وأصحابه، ورشيد الهجريّ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ، وجويريّة بن مسهر العبديّ، وعبد اللّه بن يحيى الحضرميّ وأصحابه، وأطعم عمرو بن العاص خراج مصر، وبايع يزيد الخليع، واستأثر بالفيء، واختار الولاة على الهوى، وعطّل الحدود بالشّفاعة والقربى. وأربت مخازي يزيد الذي

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٧، ص٢٩٦.

٢ - ابن كثير: البدايّة والنّهايّة، ج١١، ص٣١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٥٩؛ أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٥٣٢.

ولي بعد معاوية على جرائم والده، فقد: غزا مكّة، ورمى الكعبة، واستباح المدينة، وقتل الحسين بن علي في أكثر أهل بيته مصابيح الظّلام وأوتاد الإسلام، ومثّل برأسه. إنّ هذه الأعمال تدلّ على القسوة، والحقد، والنّصب، والنّفاق، واليقين المدخول، والإيمان المخرج، وعدم الإخلاص للنّبيّ"[١].

إنّ (معاوية بن ابي سفيان) هو أوّل من رفع الرّؤوس على أطراف الرّماح، كما فعل برأس (عمرو بن الحمق)، وهو أوّل من أقام الحرس والشّرطة والبوّابين، واستكتب النّصارى، مغتصبًا لأموال النّاس، وأوّل من اتّخذ الخصيان، وأوّل من دفن مسلمًا حيًّا، وأوّل من أمر بتجريد الكعبة من كسوتها. كان قاتلاً للمسلمين، جعل الإمرة ملكًا ووراثة. قتل (محمّد بن أبي بكر) وأحرقه في جلد حمار[٢]، كان لـ (معاوية بن أبي سفيان) سلسلة اغتيالات سياسيّة كثيرة جدًا، من أجل أن يستولي على الحكم، ويستتبّ له الأمر ويتخّلص من المنافسين والمعارضين. ولمن أراد المزيد عن ذلك مراجعة كتب التّاريخ، والكتب المختصّة المبيّنة لحقيقة (معاوية بن أبي سفيان) الأمويّ، كما كان (معاوية) يسبّ

---

١ - الجاحظ: رسائل الجاحظ، ص٣٨ - ٣٩.

٢ - إبراهيم الثّقفي: الغارات، ص١٨٥؛ محمد بن جرير الطّبريّ: تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٠٥، أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٤٠٣؛ ابن تغري الأتابكي: النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، ص١١١.

(عليًّا بن أبي طالب) عليه السلام ويلعنه[١]، رغم قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: "من سبّ عليًّا فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ اللّه، ومن سبّ اللّه أكبه على منخريه في النّار" وغيرها[٢].

وقد كان من بين أعمال (معاوية) الشّنيعة اغتيال (الإمام الحسن) عليه السلام بالسّمّ[٣]، وقتله لشيعة (الإمام عليّ) عليه السلام [٤]، والبراءة من (الإمام عليّ) عليه السلام وسبّه ولعنه على المنابر[٥]، وتقريبه لكلّ خصوم (الإمام عليّ) عليه السلام [٦]، وإحراقه لدار (أبي أيّوب الأنصاريّ)[٧]، و جعله مقبرة واحدة للمسلمين واليهود[٨]، ومخالفته لأحكام النّبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام، وتحريفه للأحاديث بما يخدم مصلحته،

---

١ - أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص١٢٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣، ص١٢٧؛ محمد الخضري: الدولة الأمويّة، ص٣٥٦.

٢ - كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص١٥٢؛ ابن حجر الهيثميّ: الصّواعق المحرقة، ص١٢٣؛ جلال الدين السّيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٨٠.

٣ - أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٥.

٤ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٦.

٥ - أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطّالبيين، ص٧٥؛ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤٤.

٦ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.

٧ - خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥٣.

٨ - ابن كثير: البدايّة والنّهايّة، ج٧، ص٢١٤؛ ج٥، ص٣٢٤.

ووضعه لكثير من الأحاديث الكاذبة، وسنّه لسياسة التّجويع لكلّ خصومه[١]، وقتله لـ (حجر بن عديّ الكنديّ)، و(مالك الأشتر النّخعيّ)، و(عمرو بن الحمق)، و(محمّد بن أبي بكر)، و(عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد)، و(عبد الرّحمن بن أبي بكر)، و(محمّد بن أبي حذيفة)، و(عبد الرّحمن بن عديس البلويّ)، و(سعد بن أبي وقّاص)، وغيرهم كثير من صحابة النّبيّ صلى الله عليه وآله، وصحابة (الإمام عليّ) عليه السلام، وصحابة (الإمام الحسن) عليه السلام، عمله بسياسة الإرهاب من أجل تركيع الخصوم، وإحياءه للنّزعة القبليّة التي حرّمها الإسلام، وتشويه الدّين بما يخدم مصلحته واستتباب حكمه باسم الدّين.

ثالثًا: المُستشرق الإنكليزي (دوايت رونلدسن- Dwight M.Donaldson):

للمُستشرق الإنكليزي (دوايت م. رونلدسن)[٢] كثير من الدراسات عن الشّيعة منها: كتاب "عقيدة الشّيعة" الذي نشره عام ١٩٣١م.

---

١ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١٨٧؛ أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٤٠.

٢ - دوايت رونلدسن (... ـ ١٩٥٨م).

وقد وضع (رونلدسن)[١] هذا الكتاب في أثناء مكوثه في مدينة مشهد المقدّسة، وكان دافعه لتأليفه هو: إصدار كتاب يحتوي على كل ما يختصّ بعقائد الشّيعة.

ويرى (رونلدسن) أن (الإمام الحسن) عليه السلام: "قضى زهرة شبابه في الزّواج والطّلاق، حتى بلغ عدد من تزوّجهنّ المئة، وسُمّي بالمطلاق، وخلق لعليٍّ أعداء خطرين، وقد برهن على كثرة تبذيره بأنْ خصّ كل امرأة من نسائه بمال كثير، فنرى بذلك كيف بُذّرت أموال طائلة خلال خلافة عليّ، بالزّمن الذي كانت الخلافة نفسها شديدة الافتقار"[٢].

لقد اتهم النّواصب من أعداء أهل البيت عليهم السلام (الإمام الحسن) عليه السلام بأنّه مطلاق، يطلّق النّساء دون سبب وجيه، ودون علّة موجبة لذلك.

وكان الاعتماد في ذلك على رواية: عن (محمّد بن يعقوب)، عن (حميد بن زياد)، عن (الحسن بن محمّد بن سماعة)، عن (محمّد بن زياد بن عيسى)، عن (عبد اللّه بن سنان)، عن (أبي عبد اللّه) عليه السلام قال:

---

١ - لدى رونلدسن الكثير من الدراسات عن الشّيعة نشر كتاب (عقيدة الشّيعة في الإمامة) عام (١٩٣٣م)، وبعد ذلك نشر كتاب (المذهب الشّيعي) عام (١٩٣٣م)، والذي يحوي قسماً عن الإمامة والحسين بن علي، حاصل على دكتوراه في اللاّهوت، ودكتوراه في الفلسفة. عمل مبشراً في الإرساليّة الأمريكيّة التّبشيريّة، راجع: نجيب العقيقي: المُستشرقون، ج٢، ص٩٤.

٢ - دوايت رونلدسن: عقيدة الشّيعة، ص٨٩ ـ ٩٠.

إنّ (عليًّا) قال وهو على المنبر: "لا تزوّجوا الحسن فإنّه رجل مطلاق، فقام رجل من همدان فقال: بلى، واللّه، لنزوّجه وهو ابن رسول اللّه وابن أمير المؤمنين، فإن شاء أمسك وإن شاء طلّق"[١]. وغيرها من الرّوايات التي لم تتجاوز (خمس عشرة) رواية.

إن هذه الرّواية ضعيفة السّند بسبب كذب بعض الرّواة، وهو حميد بن زياد من الواقفة الذين وقفوا عند (الإمام موسى الكاظم) عليه السلام، وقالوا إنّه لم يمت وإنّه هو القائم. أمّا (الحسن بن محمّد بن سماعة) فهو من شيوخ الواقفة، مضافًا إلى السّؤال عن الرّجل الهمدانيّ المجهول من هو؟ وكذلك مخالفة الرّواية لنصوص القرآن الكريم، ومخالفتها لسيرة أهل البيت عليهم السلام.

والرّواية المتقدّمة نفسها نجدها مرويّة عن (محمد بن عمر الواقديّ)، عن (حاتم بن إسماعيل)[٢].

لقد تزوج كبار أقوامهم نساءً، ثم طلّقوهنّ، فذُكرت أسماؤهنّ بدقّة، وكذلك الشّعراء، والعلماء، والصّحابة، والكُتّاب، والجباة، بل حتى دون ذلك، فهل بمقدور المدّعين أن يذكروا لنا أسماء زوجات (الإمام الحسن) عليه السلام؟ وهل يتفضّلون علينا بسرد أسماء كل تلك النّسوة؟ وذكر

---

١ - محمد بن الحسن الحرّ العامليّ: وسائل الشّيعة، ج٢٢، ص١٢، محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٥٩.

٢ - محمد بن سعد: الطّبقات الكبرى، ج١، ص٦٩.

بلدانهنّ؟ وسبب الزّواج بهنّ؟ وعدد أولادهنّ؟ وأسماء الأولاد؟

يقول العقل، إنّها مجرّد اتّهامات باطلة ساقها الكذّابون والوضّاعون. فرواية الزّواج بتسعين امرأة هي من وضع (علي بن محمد المدائني)، أما رواية الزّواج بمئتين وخمسين امرأة أو ثلاثمئة امرأة فهي من وضع (أبي طالب المكي) في كتابه "قوت القلوب"، أما رواية التّسعين امرأة فقد أرسلها (الشّبلنجي) في كتابه "نور الأبصار"، ولم ينسبها لأحدٍ.

وبهذا يتبيّن للباحث، وبما لا يقبل الشّك أصل الرّوايات، وأسباب وضعها، والهدف من وراء ذلك.

ويقول (رونلدسن) أيضًا في موضع آخر: "ويعترف الشّيعة أنفسهم، أنّه كان للحسن ستون زوجة، وعدد كبير من السّرايا، فنقرأ أن عدد نسائه الشّرعيات بلغ السّتين، عدا السّرايا، أو اللّواتي تمتع بهن. وقد ذكر أن عددهن كان بين الثّلاثمئة والتّسعمئة، وقد طلّق كثيراً منهنّ، فسمي بالمطلاق"[1].

وفي مقام الرّد على ذلك نقول:

١. لقد استند (رونلدسن) في ما تقدّم من كلامه إلى كتاب واحد هو "عقائد الشّيعة" لـ (الميرزا آقاسي). ليقول معمّمًا إطلاقه "ويعترف الشّيعة أنفسهم"، ولا أدري من يقصد بذلك، علمًا أنّ الرّوايات

١ - دوايت رونلدسن: عقيدة الشّيعة، ص٩٠.

المكذوبة الواردة في كل تراث الشّيعة هي ستّ روايات فقط، وردت في كتب قابلة للنقاش، وتصدّرت في كشاكيل فارسيّة أوردها خطباء منبر لهم غاياتهم من ذلك.

٢. إن الانطلاقة في الوضع قد بدأت من قبل بني العباس، وذلك لشدّة كرههم للحسنيين بسبب ثوراتهم المتكررة على ملوك بني العبّاس، فما كان من السّلطات إلا أنْ وضعت الأحاديث المكذوبة لتشويه سمعة جدّهم (الإمام الحسن) عليه السلام.

لقد تواصلت ثورات العلويّين على الظلم والجور والتّعسف، فهم أصحاب الحق الشّرعي بالحكم والخلافة.

فحينما طلب (المنصور العباسي) من (محمد بن عبد اللّه المحض)، الملقب بذي النّفس الزّكيّة الدخول في طاعته، أجابه (محمد): "إن الحقّ حقّنا، وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضله"[1].

وقد أزيح شعار المجاملة بين العلويّين والعباسيّين، فحمل عليهم (المنصور الدوانيقي) حملة شعواء لم تبق ولم تذر، حتى قال (السّيوطي): "وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيّين

١ - ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، ج٥، ص٥.

والعلويين، وكانوا من قبل شيئًا واحدًا"[١].

٣. لنرجع إلى كلام (المنصور الدوانيقي) لنتعرف على ذلك؛ إذ يقول: "إنّ وُلد أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة... ثم قام من بعده الحسن بن علي، فواللّه ما كان برجل، عرضت عليه الأموال فقبلها، ودس إليه معاوية أني أجعلك ولي عهدي، فخلعه وسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه، وأقبل على النّساء يتزوج اليوم ويطلق غدًا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه"[٢]، مضافًا إلى تجنيده أشخاصًا من أمثال (مالك بن أنس) ليضع مذهبًا للأمّة بأشراف (الدوانيقي)[٣]، و(الواقدي)، و(ابن سعد البصري)، وغيرهم. إنّ العباسيّين قد مارسوا النّشاط الحركي منذ وقت مبكر جدًّا بشعارات استقطابيّة باسم الحسنيّين والحسينيّين، وذلك لأنّهم لا رصيد لهم عند المسلمين، وقد استغلّوا رفع شعارات أهل البيت والرّضا من آل محمد، لكسب تعاطف المسلمين في البقاع المختلفة معهم ومنها - بشكل خاصّ - خراسان، هذا في الظاهر أمّا في الباطن، فقد عملوا على قتل من ينفّذ هذا الشّعار، لذلك قُتل عدد من

---

١ - جلال الدين السّيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٦١.

٢ - الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٢٢٩؛ محمد بن جرير الطّبريّ: تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص٣٣٣، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٧، ص١٤٨.

٣ - القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص١٩١ ـ ١٩٢.

الدعاة، ممن يُشتمّ منهم رائحة التّحول إلى مفهوم الشّعار الحقيقيّ[١].

٤. إنّ زوجات (الإمام الحسن) عليه السلام بالتّحقيق الدقيق جدًّا هنّ خمس فقط، وذلك بالاستناد إلى النّصوص الصّحيحة المعتبرة، أمّا باقي الرّوايات فهي مكذوبة، أما أسماء زوجات (الإمام الحسن) عليه السلام فهنّ:

أ. (أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري)، وهي (أم زيد بن الحسن) عليهما السلام[٢].

ب. (جعدة بنت الأشعث)[٣].

ج. (أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد اللّه)، وهي أم (طلحة) و(الحسين الأثرم)[٤].

د. امرأة من بني ثقيف، وهي (أم عمرو بن الإمام الحسن) عليهما السلام[٥].

ه. (خولة بنت منظور الفزاريّة)[٦].

---

١ - حسين عطوان: الدعوة العباسيّة، ص٣٥٣- ٣٩٧.

٢ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بفتح صحيح البخاري، ج٧، ص٢٤٦؛ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٦.

٣ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصّحابة، ج٣٧، ص٢٢٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٩، ص١٣٩.

٤ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٦؛ محمد بن سعد: الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٩٢.

٥ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٦.

٦ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٦.

فهل بعد ذلك يبقى شك بأنّ كل تلك مجرد اتهامات، وشائعات، وشبهات قد أثيرت ضدّ (الإمام الحسن) عليه السلام، وضدّ مكانة أهل البيت عليهم السلام.

ويقول رونلدسن أيضًا: "كان معاوية يرسل له الأموال دون انقطاع، فيبذرها باستمرار، فكانت النّتيجة ما يقال، إنه مات بالسّل"[١].

ويرد على ذلك الآتي:

١. كان (الإمام الحسن) عليه السلام قد أدرج بعض البنود الماليّة في وثيقة الهدنة مع (معاوية بن أبي سفيان)، فشرط على (معاوية) تعويض عوائل شهداء حرب صفّين والجمل بمبلغ مليون درهم، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصّلات على بني عبد شمس، ويستثني بيت مال الكوفة ويبقيه تحت تصرّفه، وأنْ يعطي أخاه (الحسين) عليه السلام كل عام مليوني درهم، ويجعل له خراج دار أبجرد في ولايّة فارس، وألّا يمنع أحدًا من شيعة (علي) عليه السلام عطاءه[٢].

٢. هناك فرق بين موته عليه السلام بالسّلّ، وبين موته بالسّمّ. ولا ندري من أين جاءه السّلّ، ولا يعتقد أحد أنّ الملذّات - المدّعاة - من أكل وترف تسبب السّلّ؟!

ولو تسامحنا مع هذا المُستشرِق وغيره لقلنا، إنّ هناك سقطًا تسبّب

---

١ - دوايت رونلدسن: عقيدة الشّيعة، ص٩٠.

٢ - الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٥؛ أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٢.

بخلل في الكلمة، فكتب (سلّ)، بدل (سمّ)، لكنّنا لو رجعنا إلى المصادر التي اعتمدها؛ لوجدنا أنّ في طليعتها كتابات المُستشرِق والرّاهب (هنري لامنس) المعروف بحقده على الإسلام، وهو الذي قال إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام قد مات بسبب السّل!

وقد تلقّفها (رونلدسن) دون أدنى تدقيق، أو تروٍّ، ولم يبحث عنها بحثًا علميًا دقيقًا، ليتأكد من صحة تلك المرويات، بل قد سلّم بها كل التّسليم، ودوَّنها في كتابه، واعتبرها حقيقة.

٣. كيف يهادن (معاوية)، وكيف يستلم منه أموالاً؟ وما سبب استلامها؟ ألا يعرف (الإمام الحسن) عليه السلام حقيقة (معاوية) حتى يفعل ذلك؟!

إن (الإمام الحسن) عليه السلام لا يهادن على الدين أو على الحق مطلقًا، وهو أعرف النّاس بـ (معاوية).

يقول (الإمام الحسن) عليه السلام عن حقيقة (معاوية) ما نصّه: "وبلغ اللّعين معاوية قتل أبي، فأنفذ الدعي اللّعين زيادًا إلى الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل، فأمر بالقبض عليّ وعلى أخي الحسين وسائر إخواني وأهل بيتي وشيعتنا وموالي، وأنْ يأخذ علينا البيعة لمعاوية، فمن أبى منّا ضُربت عنقه وسِير إلى معاوية رأسه"[1].

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٤، ص٦٦.

كما يقول عليه السلام عن حقيقة بني أميّة: "ولو لم يبق لبني أميّة إلا عجوز درداء لبغت دين اللّه عوجًا"[١].

ومن كلام له عليه السلام في مجلس (معاوية) قال: "إنّك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن اللّه القائد والرّاكب والسّائق"[٢].

رابعًا: المُستشرق الإنكليزي (أنتوني نتنغ- Anthony Nutting):

لقد وقع هذَا المُستشرِق في أخطاء جسيمة في كتابه "العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام"، ترجمة (راشد البراوي).

فمن أقواله:

"مبايعة أهل الكوفة للحسن جاءت من باب الاحترام لذكرى علي، وإن الحسن كان يؤثر العافية ويحب السّلم، وقد ظفر بكنيته "المطلاق الكبير" من زيجاته الكثيرة التي يقول بعضهم إنها بلغت المئة" [٣].

ويُردّ على هذا الكلام بالقول: إنّ هناك مؤامرة لجعل سيرة (المغيرة بن شعبة) مكان سيرة (الإمام الحسن) عليه السلام، ويسقطون على (الإمام الحسن) عليه السلام مثالب وسيّئات (المغيرة بن شعبة).

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ص٤٤، ص٤٣.

٢ - يوسف بن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص٨٧.

٣ - أنتوني نتنغ: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص٩١.

و(المغيرة بن شعبة) هو (المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن قيس الثّقفي) (أبو عبد اللّه)، أمّه (أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم). أسلم عام الخندق، وقيل في الحديبيّة، وقيل بعده.

وقد كان (المغيرة) معروفًا بالغدر[١]، لم يؤمن بالإسلام أبدًا[٢]، وكان ممن يشتمّ (الإمام عليّ) عليه السلام ويلاحق شيعته[٣]، وزنديقًا[٤]، وكان يُسمّى أعور ثقيف[٥]، قال عنه (ابن لسان الحمرة): أعيور زناء[٦]، اتُّهم بالزّنا مع (أم جميل من بني هلال بن عامر)، التي تزوّجها في ما بعد (الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ)[٧].

وفي موضع آخر يقول (نتنغ): "لم يقم الحسن إلا بحركة واحدة لإنقاذ عرشه، فوجّه جيشًا من الكوفة ضدّ معاوية، ولكن لّما بلغت الشّائعات المدائن، عن انهزام جيشه، تنازل على الفور لمعاوية الذي

---

١ - محمد بن عمر الواقدي: المغازي، ج٢، ص٥٩٥.

٢ - إبراهيم الثّقفي: الغارات، ص٣٥٤.

٣ - عبد القادر بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج٢، ص٣٧٣؛ أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، ج٢، ص٤٥٢.

٤ - محمد عبد العظيم الزّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص٣٢٩.

٥ - هشام الكلبيّ: مثالب العرب، ص١٧٤ـ ١٧٥.

٦ - هشام الكلبيّ: مثالب العرب، ص١٧٨.

٧ - الخطيب العدناني: الزّنا والشّذوذ في التّاريخ العربي، ص٦٥.

بعث إليه بصحيفة بيضاء ليكتب فيها الحسن ما يشاء" [١].

أيّ عرش يقصد (أنتوني نتنغ)؟ هل هو مُلك؟ هل هي إمبراطوريّة؟

المفروض أنْ يوقّع المنهزم على ورقة بيضاء وليس غيره!؟ فإنْ كان (معاوية) هو المنتصر فلماذا يرسل لـ (الإمام الحسن) عليه السلام ورقة بيضاء ليكتب فيها ما يشاء؟

كلام بعيد عن الصّواب، وتقدّم الجواب عنه في ما ذكرناه في الرّد على المُستشرِقين من أمثال (أنتوني نتنغ).

ويقول (نتنغ) أيضًا: "لم يخجل الحسن من أن يطلب ويشترط في ردّه أنْ يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم عندئذ، وقد وضع في جيبه مكاسب لا يستحقّها، وانصرف إلى المدينة حيث توفيّ بعد سنوات ثمان على يد إحدى زوجاته" [٢].

الرّد عليها:

ما سبب اشتراط هذه الأموال؟ هل يعلم (أنتوني نتنغ) بذلك؟ وما دليله على أنّ (الإمام الحسن) عليه السلام قد وضعها في جيبه؟ وما دليله على أنّها مكاسب؟ وما دليله على أنه لا يستحقّها؟ وهل تُوفيّ (الإمام الحسن) عليه السلام أم قُتل أم استَشهد؟ وهل هي ثماني سنوات؟ أم تسع سنوات؟ أم أكثر

---

١ - أنتوني نتنغ: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص٩٢.

٢ - أنتوني نتنغ: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ص٩٣.

بقليل؟ ومن هي زوجته التي فعلت ذلك؟ ومن الذي دفعها لفعل ذلك؟ هذه التّساؤلات الموجّهة لـ (أنتوني نتنغ) قد أجبنا عنها في ما سبق، وأوضحناها، فهي من شبهات المُستشرِقين.

● المبحث الرّابع: مُستشرِقون آخرون كتبوا عن (الإمام الحسن) عليه السلام:

أولاً: المُستشرِق الفرنسي البلجيكي (هنري لامنس - Henri Lammens):

(هنري لامَنس)[1]، مُستشرِق فرنسي مولود في بلجيكا. التحق في عام ١٨٧٨م بسلك الرّهبنة، وتخرّج في جامعة القديس يوسف في بيروت في قسم الأدب العربيّ، ولديه عدد من المقالات والكتب عن التّاريخ الإسلاميّ.

---

١ - هنري لامنس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) مُستشرق بلجيكي وراهب شديد التّعصب ضد الإسلام. يفتقر إلى النّزاهة في البحث والأَمانة في النّقل. له: (مهد الإسلام، مكة، مدينة الطّائف، غرب الجزيرة العربيّة قبل الهجرة، المعابد قبل الإسلام في غرب الجزيرة العربيّة، القرآن والسّنة كيف ألفت حياة محمد، هل كان محمد أميناً؟، فاطمة وبنات محمد، الحكومة الثّلاثيّة من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة)، بالغ في مؤلفاته في مدح الأمويين بدافع الحقد على الإسلام. عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرِقين، ص٥٠٣.

وقد قال عنه الكاتب المصريّ المعروف (عبد الرّحمن بدوي) في كتابه (موسوعة المُستشرقين): "هنري لامنس مُستشرق بلجيكيّ، وراهب يسوعيّ شديد التّعصّب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًّا إلى النّزاهة في البحث، والأمانة في نقل النّصوص وفهمها. ويعد مثالاً سيّئًا جدًا للباحثين في الإسلام من بين المُستشرقين"[١].

يُضاف إليها كثير من المقولات المنتقدة لأطروحات (هنري لامنس)، التي انتقده عليها كُتّابٌ كثر من أوروبا وآسيا وأفريقيا والعالم العربيّ على اختلاف الأديان واللّغات، وقد أجمع كلّهم على أنّ (لامنس) متحامل إلى حدّ الخروج عن المتعارف في كلّ شيء.

وعن (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام يقول (هنري لامنس): "إنّ الصّفات الجوهريّة التي كان يتّصف بها الحسن هي الميل إلى الشّهوات والافتقار إلى النّشاط والذّكاء. ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه وإخوته عندما ماتت فاطمة ولمّا تجاوز الشّباب. وقد نفق خيرَ سنيِّ شبابه في الزّواج والطّلاق، فأحصي له نحو مئة زيجة عدًّا، وأُلصقت به هذه الأخلاق السّائبة لقب المِطلاق، وأوقعت عليًّا في خصومات عنيفة"[٢].

إنّ هذا مردود؛ لكثير من الرّوايات الواردة في ذلك، ومنها الوصايا الجميلة

---

١ - عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرقين، ص٥٠٣.

٢ - فنسنك وآخرون: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٧، ص٤٠١.

التي كان يوصي بها الإمام (علي) عليه السلام ولده (الحسن المجتبى) عليه السلام.

فقد قال عليه السلام في وصيته لولده (الحسن المجتبى) عليه السلام: "فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التّجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كُفيت مؤونة الطّلب، وعوفيت من علاج التّجربة..."[١].

وهذا تأكيد من الإمام عليه السلام على أهميّة دور الأُسرة في بناء الفرد تربويًّا وخُلُقيًّا. فالأسرة عليها أنْ تراعي تربية أبنائها في سنّ الطّفولة التّربية الصّحيحة، قبل أن تقسوا قلوبهم، وتشتغل عقولهم بأمور أخرى كثيرة، وأنْ يصحّحوا ويقّوموا أقواله وأفعاله، حتّى لا يقعوا في ما لا يحمد عقباه؛ إذ إنّ للأبوين من التّجارب ما يكفي أولادهم عناء خوض التّجارب التي خاضها غيرهم.

وقال عليه السلام: "وأجمعت... أن أبتدئك بتعليم كتاب اللّه عزّ وجلّ وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره..."[٢].

هنا يبيّن عليه السلام الأُسس التي يُبتدأ بها بتعليم الأولاد في سنّ الطّفولة من تلاوة القرآن الكريم، ومعرفة أصول الدّين وفروعه. وهذا ما تقتضيه سنّ

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١، ص٢٢٣.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢١٩.

الطّفولة، فلا يخاض في غيره، وذلك لصعوبته، ولعدم التّكليف بأكثر منه في مثل هذا العمر.

وقال عليه السلام: "فإنّ أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنّك أول ما خُلقت به جاهلاً ثم عُلّمت، وما أكثر ما تجهل من الأمور، ويتحيّر فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك"[1].

إذ يبيّن عليه السلام لولده (الحسن) كيفيّة التّعامل مع الأمور الصّعبة أو المشكلة؛ وذلك بأنْ يحملها الإنسان على جهله، وهو الأصل، وأن لا تأخذه الأنا بأن يقول أشياء ترجع عليه سلبًا في الدنيا والآخرة. وذلك كله تحت شعار: إن الرّضا هو رضا اللّه تعالى.

أما في الجانب الآخر، فقد خطب (الإمام الحسن) عليه السلام بعد شهادة أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام قائلاً: "لقد قُبض في هذه اللّيلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول اللّه فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح اللّه عليه... أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير،

---

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٧٤.

أنا ابن النّذير، أنا ابن الداعي إلى اللّه عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السّراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض اللّه مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾. فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»[١].

ويقول (لامنس) في موضع آخر: «وأثبت الحسن كذلك أنّه مبذّر كثير الإسراف، فقد اختصّ كلاًّ من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم، وهكذا نرى كيف كان يبعثر المال أيّام خلافة عليّ التي اشتدّ عليها الفقر، وشهد يوم صفّين دون أن تكون له فيها مشاركة إيجابيّة. ثمّ هو إلى ذلك لم يهتمّ أيّ اهتمام بالشّؤون العامّة في حياة أبيه»[٢].

ونردّ على ذلك بالآتي:

١. إن التّبذير شيء منهي عنه بالقرآن الكريم، وبنصوص المعصومين عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

---

١ - أبو عبد اللّه النّيسابوري: المستدرك على الصّحيحين، ج٣، ص١٧٢؛ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطّالبيين، ص٣٣؛ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣٠. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٧٠؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٥١.

٢ - فنسنك وآخرون: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٧، ص٤٠١.

وكذلك وردت الرّوايات في النّهي عن التّبذير والتّحذير منه، خصوصًا أنّه داء قاتل.

قال الإمام (عليّ) عليه السلام: «من افتخر بالتّبذير احتُقر بالإفلاس»[1].

فكيف بإمامٍ معصوم، مُنصّب من قبل اللّه تعالى، ومنصوص عليه ألّا يكون مبذّرًا؟ وكيف عرف (لامنس) ذلك؟ وما الدّليل عليه؟

إنّ (لامنس) يسوقه الحقد على الإسلام في جميع مقولاته المكتوبة في ذلك، فهو يتحيّن الفرصة ليبثّ سمومه، ولينتقد الإسلام، ولينتقد نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على حدٍّ سواء، فمنهجه معروف، وقد أشار إليه جملة من المُستشرقين.

٢. من هنّ زوجاته اللّواتي اختصّهنّ بخدم وحشم؟ وما سبب ذكر ذلك؟ وماذا يقصد (لامنس) من هذا الطّرح؟

٣. لم يعرف عن (الإمام عليّ) عليه السلام أنّه كان يكيل الأموال كيلاً لأيّ أحد دون سبب، ولم يعرف أنّ (الإمام الحسنّ) عليه السلام كان يملك أموالاً غير أموال أبيه.

٤. أما أنّه لم تكن له مشاركة إيجابيّة في معركة صفّين، فذلك نابع من أقوال كتّاب السّلطة التي أخذ عنها (لامنس) ومن شاكله.

٥. أمّا أنّه عليه السلام لم يهتمّ بالشّؤون العامّة في حياة أبيه، ففيه كلام طويل يقسّم إلى قسمين:

---

١ - علي بن محمد اللّيثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص٤٦٤.

أ. الأمور الخاصّة بالإمامة والخلافة: وهذا من مختصّات الإمام المتصدّي في عصره، وكان ذلك من مختصّات أبيه (الإمام عليّ) عليه السلام كونه هو الإمام المتصدّي للإمامة والخلافة وقيادة الأمّة، ولا يصحّ منه أن ينفرد عنه مطلقًا.

ب. الأمور الحياتيّة العامّة: ولا أعتقد أنّ (الإمام عليّ) عليه السلام سيجبره على فعل شيء فيه خير للأمّة، أمّا لو كان عكس ذلك فلن يقبل منه، وسيعاقبه كأيّ مسلم خرج على إمام زمانه. فعلى من شاكل (لامنس) أنْ يفهم حقيقة المنظومة الإماميّة قبل أن يلقي بالاتّهامات كرهًا وتعريضًا وتشويهًا.

٦. إنّ من شروط الإمامة الزّهد، وهو عكس البخل أو التّبذير.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام ويشترط بالإمام المعصوم المتصدّي للإمامة شرط الزّهد، ويعلّل ذلك بقوله: "لأنّه إذا لم يكن زاهدًا في الدنيا وزخرفها دخل في المحظورات من المعاصي، فاضطرّه ذلك إلى أن يكتم على نفسه، فيخون اللّه تعالى في عباده، فيحتاج إلى من يطهّره بإقامة الحدّ عليه، فهو حينئذ إمام مأموم"[1].

وفي موضع آخر يقول (لامنس): "وترك معاوية أن يحدّد ما يطلبه جزاء تنازله عن الخلافة، ولم يكتف الحسن بالمليوني درهم التي طلبها

١ - الشّريف المرتضى: رسالة المحكم والمتشابه، ص١١٢ ـ ١١٤.

معاشًا لأخيه الحسين، بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهم أخرى، ودخل كورة في فارس طيلة حياته"[١].

لقد أدرج (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام بعض البنود الماليّة في وثيقة الهدنة مع (معاوية بن أبي سفيان)، فشرط على (معاوية) تعويض عوائل شهداء حرب صفّين والجمل بمبلغ مليون درهم، وأنْ يفضّل بني هاشم في العطاء والصّلات على بني عبد شمس، ويستثني بيت مال الكوفة فهو تحت تصرّفه، وأنْ يعطي أخاه (الحسين) عليه السلام كل عام مليوني درهم، ويجعل له خراج دار أبجرد في ولاية فارس، وألّا يمنع أحدًا من شيعة (عليّ) عليه السلام عطاءه[٢].

فالأموال التي أوردها (الإمام الحسن) عليه السلام كانت للمسلمين؛ ذلك أنّ منهج (معاوية) معروف بتوزيع الأموال على أقاربه، وأتباعه، وجلاوزته، وعلى سلطانه، وجيشه، وملذّاته.

أمّا الأموال التي كانت لـ (الإمام الحسين) عليه السلام فقد أدرجت حتى لو مات (الإمام الحسن) عليه السلام تبقى؛ وذلك لأنّه هو الإمام من بعده، فخوفًا من منعه من جانب، وتسجيلاً على (معاوية) في حال لو تنصّل من بنود الهدنة، لتكون شاهدًا على تنصّل (معاوية) من بنود الهدنة.

---

١ - فنسنك وآخرون: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٧، ص٤٠١.

٢ - الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٥؛ أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٢.

أمّا أنّه انزوى في كورة من كور فارس، فالأدلّة كلّها تعاكس ذلك؛ إذ إنّ (الإمام الحسن) عليه السلام وُلد واستُشهد ودفن في المدينة المنوّرة، لكنّه عليه السلام اشترط عدم منع أموال أبجرد عنه كونه عليه السلام هو الخليفة الشّرعيّ، وكون الأموال للشّيعة، وبالخصوص لأولاد قتلى الجمل وصفّين؛ إذ اشترط (الإمام الحسن) عليه السلام على (معاوية) أنْ يفرّق عليهم ألف ألف درهم، وأنْ يجعل ذلك من خراج دار أبجرد.

لقد عُرف (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام بالزّهد، وهذا يخالف التّوجّهات الدنيويّة التي أُثيرت عن شخصيّته؛ إذ تدلّ إحدى الرّوايات على أنّه عليه السلام كان يأكل الملح والخبز، وكان يقدّم لغلمانه أفضل الأطعمة وهو يردّد قائلاً: "إنّ ذاك الطّعام أحبّ إليّ لأنّه طعام الفقراء والمساكين"[1].

وقد ألّف (محمد بن بابويه) القمّي كتابًا أسماه "زهد الحسن عليه السلام"، وغيره من الكتب والبحوث في كتب أهل السّنّة والشّيعة التي تشير إلى زهد (الإمام الحسن) عليه السلام، وإلى كونه الزّاهد، والكريم، والعابد، والشّبيه برسول اللّه صلى الله عليه وآله في كلّ شيء.

ويقول (لامنس) أيضًا: "وتُوفيّ الحسن في المدينة بذات الرّئة، ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجّل بمنيته، وقد بُذلت محاولة لإلقاء

١ - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٢١٢.

تبعة موته على رأس معاوية"[١].

وردًّا على هذا الافتراء يقول الدكتور (عبد الجبار ناجي): "هنري لامنس في عرضه هذا يؤكّد جهله بالتّاريخ السّياسيّ لبني أميّة، ولسياسة معاوية البعيدة عن الإسلام، والقاسية جدًّا ضدّ معارضيه، كذلك يؤكّد حقده على رسول اللّه وأهله باتخاذ موقف المدافع والمادح لمعاوية وابنه؛ في حين سمّاهم رسول اللّه بالطّلقاء. فهو قد عُمي بصره عن متابعة بسيطة للمصادر التّاريخيّة السّنيّة ولمؤلّفات الصّحاح والمساند والرّجال السّنيّة عن أعمال هؤلاء الطّغاة والبغاة ضد أهل البيت"[٢].

إنّ (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام ولشدّة زهده قد خرج عن جميع ما يملك مرّتين، وشاطر اللّه في أمواله ثلاث مرات، وكان إذا ذُكر الموت بكى، وإذا ذُكر القبر بكى، وإذا ذُكر القيامة والعرض على اللّه يشهق شهقة يُغشى عليه منها.

فكيف تتلاءم هذه الأوصاف مع ادّعاءات (لامنس) وغيره؟ وكيف يكون التّوافق بين الطّرح التّاريخيّ عن شخصيته عليه السلام، وبين طرح بضع روايات مغرضة، علمًا أنّ الرّوايات المغرضة قد أخذت صفات (معاوية) و(المغيرة) وألقت بها على (الإمام الحسن) عليه السلام؛ إذ إنّ كلّ ما ذكر عن

---

١ - فنسنك وآخرون: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٧، ص٤٠٢.

٢ - عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(الإمام الحسن) عليه السلام من مدّعيات؛ كان معروفًا ومعمولاً به عند (معاوية) و(المغيرة بن شعبة)، فقد ذُكر بأنّ (المغيرة) قد طلق ألف امرأة[١].

ثانيًا: المُستشرِقة الإيطاليّة لورا فيشيا فاغليري- Veccia Vaglieri):

إن المُستشرقة الإيطاليّة قد كتبت عن (الإمام الحسن) عليه السلام في موضعين، الأوّل كتابها "دفاع عن الإسلام" وهو من ترجمة (منير البعلبكي)، طبعة دار العلم للملايين، سنة١٩٨١م، والثّاني بحثها عن (الحسن) في دائرة المعارف، والذي تُرجم في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، مركز الشّارقة للإبداع الفكري، سنة ١٩٩٨م.

تقول (فاغليري): "الحسن: ابن عليّ وفاطمة، والباحث عن الخلافة، حتّى تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان"[٢].

هل (الإمام الحسن) عليه السلام باحث عن الخلافة؟ وهل (الإمام الحسن) عليه السلام تنازل عن الخلافة لمعاوية؟

شبهات ومقولات استشراقيّة مكرّرة ومستهلكة، قد أجبنا عنها في ما سبق.

وفي موضع آخر تقول (فاغليري): "دعا عبيد اللّه بن عبّاس النّاس إلى

---

١ - أبو القاسم السّهيلي: الرّوض الأُنُف، ج٢، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

٢ - مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ج١٢، ص٣٨٠٣

مبايعة الحسن بعد إخفاق عليّ بن أبي طالب في تنصيبه خليفة له" [١].

(عبيد اللّه بن عبّاس) أم (عبد اللّه بن عبّاس)؟ وكيف أخفق؟ ومن الذي أخفق؟

الشّبهات الاستشراقيّة المعادة والمكررة نفسها.

وترى (فاغليري): "أنّ معاوية أعطى للحسن كامل الحريّة، وقد ندم الحسن على أنّه لم يطلب أكثر من معاوية" [٢].

كامل الحريّة! ما تلك الحريّة الكاملة؟ ومن الذي يعطيها؟ ويطلب أكثر! أكثر من ماذا؟ وما القياس؟

شبهات معادة ومكررة - كذلك - موجودة في كتب السّلطة والسّلطان، لُفّقت لـ (الإمام الحسن) عليه السلام، وتداولها المغرضون، ثمّ رحّب بها أعداء الإسلام وتناقلوها، وأخذها المُستشرِقون عن عمد أو غيره، وقالوا بأنّها حقائق، وظلّوا يقلّبونها ويعيدونها، ويحلّلونها، رغم أنّها أكاذيب، فمارسوا مناهجهم ونظريّاتهم عليها، والدليل على أن مناهجهم ونظريّاتهم غير صحيحة وغير صالحة، أنّهم استخدموها في تحليل الأكاذيب، فكيف نستخرج الحقيقة من الكذب، وكيف نستخرج الحقيقة من العدم؟!

---

١ - مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ج١٢، ص٣٨٠٥

٢ - مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ج١٢، ص٣٨٠٩

الخاتمة:

١- إنّ دراسة الاستشراق مهمّة جدًا، كي تتوضّح معالمه ومناهجه، ولكي نميّز مدارسه ونعرف أغراضه، ولكي نحذّر الشّباب والأكاديميين من بريقه الكاذب.

٢- استندت الدراسات التي أعدّها المُستشرِقون عن (الإمام الحسن) عليه السلام إلى وثائق غير معتبرة، وإلى أشياء مغايرة للصواب، ورغم ذلك أخذها هؤلاء وحلّلوها، وادّعوا أنّها حقائق، رغم أنّها سراب.

٣- إنّ في التّاريخ مساحات يمكن من خلالها الوصول إلى أدلّة تقودنا إلى الحقيقة، وأهمّ تلك المساحات أنْ نبتعد عن خطاب السّلطة الحاكمة، فهي غالبًا ما تجير الحقائق لصالحها.

٤- إنّ المدارس الاستشراقيّة في أغلبها معادية للإسلام، وهي من رعيل كنسيّ أو استعماريّ، وهذا ما يجب التّحذير منه لكل من يتأثّر بكتابات المُستشرِقين، بل علينا التّحذير منهم، أو من أغلبهم.

قائمة المصادر والمراجع

١. بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، بغداد، ط١، ١٩٧٩م.
٢. محسن الأمين العاملي: أعيان الشّيعة، حققه وعلق عليه: السّيد حسن الأمين، دار التّعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، لا ط، ١٩٨٦ م.
٣. ليث العتابي: الأدوات المعرفيّة، دار الولاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
٤. خيري منصور: الاستشراق والوعي السّالب، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٥. يان ريشار: الإسلام الشّيعي (عقائد وأيديولوجيا)، ترجمة: حافظ الجمالي، دار عطيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ١٩٩٦م.
٦. دومينيك سورديل: الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة: علي المقلد، دار التّنوير للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.
٧. راجي أنور هيفا: الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السّيوف، دار العلوم للتحقيق والطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٨. فؤاد كاظم المقدادي: الإسلام وشبهات المُستشرِقين، مطبعة المعارف، لا م، لا ط، ١٤٢٥ هـ.
٩. مسلم بن قتيبة الدينوري: الإمامة والسّياسة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لا ط، ١٩٩٧م.
١٠. عبد الجبار النّاجي: التّشيع والاستشراق، المركز الأكاديمي للأبحاث، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ط١، ٢٠١١م.
١١. يوليوس فلهاوزن: الخوارج والشّيعة، ترجمة: عبد الرّحمن بدوي، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٥٨م.
١٢. هاينس هالم: الغنوصيّة في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
١٣. أحمد صبحي منصور: القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الإسلاميّ، الانتشار العربي، بيروت - لبنان، لا ط، لا ت.
١٤. نجيب العقيقي: المُستشرِقون، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ٥، ٢٠٠٦م.
١٥. محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، لا ط، لا ت.
١٦. يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربيّة منذ ظهور الإسلام إلى نهايّة الدولة الأمويّة، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة

أوفست على الطّبعة الأصليّة، دار بيبليون، باريس/ بيروت، لا ط، ٢٠٠٨م.
١٧. كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٥٣م.
١٨. محمد بن جرير الطّبري: تاريخ الطّبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ٦، ١٩٧٢م.
١٩. جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢٠. برسي سايكوس: تاريخ إيران (تاريخ فارس)، مطبعة لندن، لندن، ط١، ١٩٢١م.
٢١. يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربيّة الإسلاميّة في أوروبا حتى بدايّة القرن العشرين، ترجمة: عمر لطفي العالم، زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٢. محمد رشيد رضا: تفسير المنار (تفسير القرآن الكريم)، مؤسسة المنار، مصر، ط٢، ١٩٤٧م.
٢٣. غرهارد كونسلمان: سطوع نجم الشّيعة (الثّورة الإيرانيّة ١٩٧٩ - ١٩٨٩)، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط٣، ٢٠٠٤م.
٢٤. محمد بن عيسى بن سورة التّرمذي: سنن التّرمذي (الجامع

الكبير)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت، لا ط، ١٩٩٨ م.
٢٥. ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربيّة، لا م، ط١، ١٩٥٩م.
٢٦. محمود أبو ريّة: شيخ المضيرة (أبو هريرة)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٩٩٣م.
٢٧. دوايت رونلدسن: عقيدة الشّيعة، ترجمة: ع. م، مؤسسة المفيد، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
٢٨. هنري لامنس: غرب الجزيرة العربيّة قبل الهجرة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٢٨م.
٢٩. شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريّة، ط١، ١٩٨٧ م.
٣٠. مونتغمري وات: محمد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصريّة، صيدا - لبنان، لا ط، لا ت.
٣١. فرانشيسكو كبرييلي: محمد والفتوحات الإسلاميّة، ترجمة: عبد الجبار النّاجي، المركز الأكاديمي، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٣٢. إغانتس غولدتسيهر: مذاهب التّفسير الإسلاميّ، مطبعة السّنة المحمديّة، لا م، لا ط، ١٩٥٥م.

٣٣. عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المُستشرِقين، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠٠٣م.
٣٤. لخضر شايب: نبوة محمد في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، مكتبة العبيكان، لا د، لا م، لا ط، لا ت.
٣٥. ابن خلكان البرمكي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.
٣٦. محمد بن علي بن بابويه القمي: التّوحيد، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدسة، قم، لا ط، لا ت.
٣٧. علي بن محمد اللّيثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، قم، ط١، لا ت.
٣٨. مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، مركز الشّارقة للإبداع الفكري، الشّارقة، لا ط، ١٩٩٨م.

الفهرس

٥ مقدمة

٩ الفصل الأول: وقفة تاريخيّة على نشأة الاستشراق

- المبحث الأول: في معنى الاستشراق والمُراد به ١١
- المبحث الثّاني: المُستشرِقون ودراسة التّراث الإسلاميّ ١٥
- المبحث الثّالثّ: اتّجاهات الكِتابة في السّيرة عند المُستشرِقين ٢٥
- المبحث الرّابع: المُستشرِقون والتّشيُّع ٣٢

٤١ الفصل الثّاني: التّراث الإسلاميّ في كتابات المُستشرِقين

- المبحث الأول: المُستشرِقون وأُسس قراءة التّراث الإسلاميّ ٤٣
- المبحث الثّاني: أسباب الهجمة على الإسلام ودوافعها ٤٩

٥٩ الفصل الثّالث: (الإمام الحسن) عليه السلام سيرة ومسيرة

- المبحث الأوّل: ولادته وحياته مع النّبيّ الأكرم وبعد وفاته صلى الله عليه وآله ٦١
- المبحث الثّاني: مشروع الإصلاح المرير ٦٩

٧٧ الفصل الرّابع: الإمام (الحسن المجتبى) عليه السلام في مؤلّفات المُستشرِقين ودراساتهم

- المبحث الأول: أسس الشّبهات التي أُثيرت عن (الإمام الحسن) عليه السلام ومنطلقاتها ٨١

■ المبحث الثّاني: كتابات المُستشرِقين الألمان عن (الإمام الحسن) عليه السلام ٨٧
■ المبحث الثّالث: كتابات المُستشرِقين الإنكليز عن (الإمام الحسن) عليه السلام ١٠٣
■ المبحث الرّابع: مُستشرِقون آخرون كتبوا عن (الإمام الحسن) عليه السلام ١٢٢

١٣٥ قائمة المصادر والمراجع

مركز بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجِدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

في هذا الكتاب

يَفتح الشيخ الدكتور ليث العتابي، في هذا الكتاب البحثيّ المُعمّق، نافذة نقديّة على الرّؤية الاستشراقيَّة عن (الإمام الحسن المجتبى) عليه السلام، كاشفًا عن حجم التَّشويه المُتعمّد الذي طال سيرته الطَّاهرة في كتابات المُستشرِقين، نتيجة اعتمادهم على مصادر مُشوّهة خضعت لأهواء السُّلطة عبر التَّاريخ. لا يكتفي المُؤلّف برصد الانحرافات، بل يتتبَّع جذورها التَّاريخيَّة، ويُفكّك مناهج المُستشرِقين، مُوضِّحًا كيف اجتمع التبشير بالاستعمار في خطابهم، وكيف تحوَّلت سيرة (الإمام الحسن) عليه السلام إلى أداة للطَّعن بالإسلام نفسه.

يُمثِّل هذا الكتاب دعوةً صريحةً لتحرير الوعي الإسلاميِّ من رواسب التُّراث المُزوَّر، واستعادة الصُّورة المُشرِقة لـ (الإمام الحسن) عليه السلام بوصفه رمزًا إصلاحيًّا ومشروعًا نهضويًّا مقاومًا، لا شخصيَّةً واهنة كما أراد لها خصومه التاريخيِّون والمُحدَثون. وبقراءة تحليليّة ونقديّة، يردُّ المُؤلِّف على أهمِّ الشُّبهات، ويُعيد الاعتبار لمنهج (الإمام الحسن) عليه السلام في الإصلاح، ليمنح القارئ رؤية متجدِّدة بين الحقيقة التاريخيَّة والتَّشويه الأيديولوجيِّ.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

Baratha Center for
Studies and Research